

❖ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
يُنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّكُمْ أَتَقِيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ
وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ
الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا
﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرْ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ
وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ
وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

(وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ) تطيع (لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا) قليلا أو كثيرا (نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) مثل ما نعطي غيرها
مرتين (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) الجنة ففتن لله و رسوله و عملن صالحا فعلم بذلك أجرهن فَإِنَّهِنَّ فِي مَنَازِلٍ
﴿٣١﴾ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ فَوْقَ مَنَازِلِ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ فِي الْوَسِيلَةِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ مَنَازِلَ إِلَى الْعَرْشِ 31
(يُنْسَاءُ النَّبِيُّ) خطاب لهن كلهن (لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّكُمْ أَتَقِيْتُنَّ) الله فإنكن بذلك، تفقن النساء
و لا يلحقكن أحد من النساء فكملمن التقوى بجميع وسائلها و مقاصدها
(فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) في مخاطبة الرجال أو بحيث يسمعون فَتَلْنَّ في ذلك و تتكلمن بكلام رقيق يدعو و يطمع
من في قلبه مرض (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) دغل-مرض شهوة الزنا فإنه مستعد ينظر أدنى محرك يحركه
لأن قلبه غير صحيح فإن القلب الصحيح ليس فيه شهوة لما حرم الله
فإن ذلك لا تكاد تُمِيلُهُ و لا تحركه الأسباب، له:-

- 1- صحة قلبه 2- و سلامته من المرض بخلاف مريض القلب، الذي :-
 - 1- لا يتحمل ما يتحمل الصحيح 2- و لا يصبر على ما يصبر عليه فأدنى سبب يوجد يدعو إلى الحرام:-
 - 1- يجيب دعوته 2- و لا يتعاصى عليه
- فهذا دليل على أن الوسائل، لها أحكام المقاصد.

فإن الخضوع بالقول، و اللين فيه، في الأصل مباح و لكن لما كان وسيلة إلى المحرم، منع منه و لهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال أن لا تلين لهم القول.

○ الاعراض الخاصة بالقلب المريض :-

1- و أنه يهش لفعل المحرم عندما يرى أو يسمع كلام من يهواه 2- و يجد دواعي طمعه قد انصرفت إلى الحرام [فليعرف أن ذلك مرض] فليجته ذ :-

1- في إضعاف هذا المرض 2- و حسم الخواطر الردية 3- و مجاهدة نفسه على سلامتها من هذا المرض الخطر، 4- و سؤال الله العصمة و التوفيق (((و أن ذلك من حفظ الفرج المأمور به)))

○ و لما نهاهن عن الخضوع في القول، فربما توهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول، دفع هذا بقوله :-

(وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا) غير غليظ، و لا جاف كما أنه ليس بليّن خاضع- و معنى هذا:-

أنّها تُخَاطَبُ الْأَجَانِبَ بِكَلَامٍ لَيْسَ فِيهِ تَرْخِيمٌ- لَا تُخَاطَبُ الْمَرْأَةُ الْأَجَانِبَ كَمَا تُخَاطَبُ زَوْجَهَا 32

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) اقررن فيها، لأنه أسلم و أحفظ لكن- الزّمن بيوتكنّ فلا تخرجن ليغير حاجة.

و من الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه، كما قال رسول الله ﷺ: سنن أبي داود 565 -

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، و لكن ليخرجن و هن تفلات ()»

سنن الترمذي 1173- عن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ، قال: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان»

- سنن أبي داود: 570 - عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، و صلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها»

(وَلَا تَبْرَحْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) لا تكثرن الخروج متجملات أو متطيبات، كعادة أهل الجاهلية الأولى،

الذين لا علم عندهم و لا دين، فكل هذا دفع للشر و أسبابه- إذا خرجت من بيوتكن -

و كانت لهن مشية و تكسّر و تغنّج -فنهى الله عن ذلك و قال ابن جرير: عن ابن عباس قال: تلا هذه الآية:

{وَلَا تَبْرَجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} قال: كانت فيما بين نوح و إدريس، و كانت ألف سنة و إن بطنين من ولد آدم كان

أحدهما يسكن السهل، و الآخر يسكن الجبل. و كان رجال الجبل صباحا و في النساء دمامة. و كان نساء السهل صباحا

و في الرجال دمامة، و إن إبليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام، فأجر نفسه منه، فكان يخدمه و اتخذ إبليس

شيئا مثل الذي يزمر فيه الرعاء، فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله، فبلغ ذلك من حوله، فانتابوهم يسمعون إليه

و اتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة، فيتبرج النساء للرجال. قال: و يتزين الرجال لهن، و إن رجلا من أهل الجبل

هجم عليهم في عيدهم ذلك، فرأى النساء و صباحتهن، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك، فتحوّلوا إليهن، فنزلوا معهن

و ظهرت الفاحشة فيهن، فهو قوله تعالى: {وَلَا تَبْرَجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} (وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ)

و لما أمرهن بالتقوى عموماً، و بجزئيات من التقوى، نص عليها لحاجة النساء إليها، كذلك أمرهن

بالطاعة، خصوصاً الصلاة و الزكاة، اللتان يحتاجهما، و يضطر إليهما كل أحد، و هما أكبر العبادات،

و أجل الطاعات و في الصلاة:- الإخلاص للمعبود في الزكاة:- الإحسان إلى العبيد

ثم أمرهن بالطاعة عموماً فقال:- **(وَأَطِيعَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)** يدخل في طاعة الله و رسوله كل أمر أمراً به أمر إيجاب أو استحباب **(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ)** بأمركن بما أَمَرَكُنَّ به، و نهىكن بما نهَاكُنَّ عنه

(لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ) الأذى و الشر، و الخبث يا **(أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)** نفوسكم **33**

(وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) يمتنّ عليهنّ بذلك و المراد بآيات الله، القرآن.

(وَالْحِكْمَةِ) أسرار و سنة رسوله و أمرهن بذكره، يشمل ذكر لفظه، بتلاوته، و ذكر معناه، بتدبره و التفكير فيه، و استخراج أحكامه و حكمه، و ذكر العمل به و تأويله.

(إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا) ذا لُطْفٍ بَكُنَّ إِذْ جَعَلَكُنَّ فِي الْبُيُوتِ الَّتِي تُتْلَى فِيهَا آيَاتُهُ وَ الْحِكْمَةُ هِيَ السُّنَّةُ لَطِيفٌ

بِاسْتِخْرَاجِهَا **(خَيْرًا)** بكنّ إِذْ اخْتَارَكُنَّ لِرَسُولِهِ أَزْوَاجًا-خَيْرٌ مَوْضِعَهَا **34**

○ و من معاني (اللطيف) :-

1-الذي يسوق عبده إلى الخير 2-و يعصمه من الشر بطرق خفية لا يشعر بها 3-و يسوق إليه من الرزق

ما لا يدره 4-و يريه من الأسباب، التي تكرهها النفوس ما يكون ذلك طريقاً له إلى أعلى الدرجات

*الصحيح المسند من أسباب النزول: سنن الترمذي 321 - عَنْ أُمِّ عُمَارَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ، أَنَّهَا أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِنَّا لِلرِّجَالِ وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يُذَكَّرْنَ بِشَيْءٍ؟ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [الأحزاب 35] الْآيَةُ

مقومات الشخصية المسلمة

(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ)

و هذا في الشرائع الظاهرة إذا كانوا قائمين بها

(وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)

و هذا في الأمور الباطنة، من عقائد القلب و أعماله-دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ غَيْرُ الْإِسْلَامِ وَ هُوَ أَخْصُ مِنْهُ

لِقَوْلِهِ {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحجرات: 14] وَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: "لَا يَزِيهِ الزَّانِي حِينَ يَزِيهِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ" فَيَسْلُبُهُ الْإِيمَانُ وَ لَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ كُفْرُهُ بِاجْتِمَاعِ

الْمُسْلِمِينَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ أَخْصُ مِنْهُ **(وَالْقَنِينِ وَالْقَنِينَتِ)** المطيعين لله و لرسوله-**الْقُنُوتُ**:- هُوَ **الطَّاعَةُ فِي سَكُونٍ**، فَالْإِسْلَامُ بَعْدَهُ مَرْتَبَةٌ يَرْتَقِي إِلَيْهَا، ثُمَّ الْقُنُوتُ نَاشِئٌ عَنْهُمَا.

(وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ) في مقالهم و فعالهم-هَذَا فِي الْأَقْوَالِ، فَإِنَّ الصَّدَقَ خَصْلَةٌ مَحْمُودَةٌ

صحيح البخاري 6094 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَ إِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا. وَ إِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَ إِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يَكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»

(وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ) على الشدائد و المصائب-هذه سَجِيَّةُ الْأَثْبَاتِ، وَ هِيَ الصَّبْرُ عَلَى الْمَصَائِبِ، وَ الْعِلْمُ بِأَنَّ الْمَقْدُورَ كَائِنْ لَا مَحَالَةَ، وَ تَلْقَى ذَلِكَ بِالصَّبْرِ وَ الثَّبَاتِ وَ إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى، أَيْ: أَصْعَبُهُ فِي أَوَّلِ وَهْلَةٍ، ثُمَّ مَا بَعْدَهُ أَسْهَلُ مِنْهُ وَ هُوَ صِدْقُ السَّجِيَّةِ وَ ثَبَاتُهَا.

(وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ) في جميع أحوالهم، خصوصًا في عباداتهم، خصوصًا في صلواتهم

الْخُشُوعُ:- السُّكُونُ وَ الطَّمَأْنِينَةُ، وَ التَّوَدُّةُ وَ الْوَقَارُ وَ التَّوَاضُّعُ وَ الْحَامِلُ عَلَيْهِ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ وَ مُرَاقَبَتُهُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ:اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"

(وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ) فرضًا و نفلا -الْصَّدَقَةُ:هِيَ الْإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ الْمَحَاوِجِ الضُّعَفَاءِ،

الَّذِينَ لَا كَسْبَ لَهُمْ وَ لَا كَاسِبَ، يُعْطُونَ مِنْ فُضُولِ الْأَمْوَالِ طَاعَةً لِلَّهِ، وَ إِحْسَانًا إِلَى خَلْقِهِ، وَ قَدْ ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: "سَبْعَةٌ يَظْلُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ" فَذَكَرَ مِنْهُمْ: "و رجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه"

وَ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ:***سنن الترمذي ت شاکر :-614 عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ

(وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ) شمل ذلك الفرض و النفل-وَلَمَّا كَانَ الصَّوْمُ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى كَسْرِ الشَّهْوَةِ -

كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:صحيح البخاري 1905 - عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَ أَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» ()-(نَاسَبَ أَنْ يَذْكَرَ بَعْدَهُ:-

(وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ) عن الزنا و مقدماته-عَنِ الْمَحَارِمِ وَ الْمَآثِمِ إِلَّا عَنِ الْمُبَاحِ كَقَوْلِهِ

{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ}فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ{المؤمنون: 5-7}

(وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ)في أكثر الأوقات خصوصًا:-

أوقات الأوراد المقيدة كالصباح و المساء و أدبار الصلوات المكتوبات

مسلم:-(2676) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ» قَالُوا: وَ مَا الْمُفْرَدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:«الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَ الذَّاكِرَاتِ

(أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) لا يقدر قدره، إلا الذي أعطاه35

العزوبة: العزب من لا زوج له والعزبة من لا زوج لها أي خاف أن يقع في الزنا لعدم الزواج وبعده عنه. (الباءة) هي في اللغة الجماع والتقدير من استطاع منكم الجماع لقدرفته على مؤن النكاح وقيل المراد بالباءة هنا مؤن الزواج. (أغض للبصر) أدعى إلى غض البصر.(أحصن للفرج) أدعى إلى إحصان الفرج أي حفظه من الزنا.(وجاء) قاطع للشهوة

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ مَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَاسُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ) لا ينبغي و لا يليق، ممن اتصف بالإيمان، إلا:-

1-الإسراع في مرضاة الله و رسوله 2-و الهرب من سخط الله و رسوله

3-و امتثال أمرهما 4-و اجتناب نهيهما فلا يليق بمؤمن و لا مؤمنة

زواج زينب بنت جحش
و ما فيه من عبر 36-40

(إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا) من الأمور و حتمًا به و ألزما به

(أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) أى الخيار هل يفعلونه أم لا؟ فليعلم المؤمن و المؤمنة أن الرسول أولى به من

نفسه فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجابًا بينه و بين أمر الله و رسوله

كقوله {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: 65]

(وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا)

بينًا لأنه ترك الصراط المستقيم الموصلة إلى كرامة الله، إلى غيرها من الطرق الموصلة للعذاب الأليم 36

(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) بالإسلام [و متابعة الرسول]

(وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالعتق حين جاءك مشاورًا في فراقها: وَ كَانَ سَيِّدًا كَبِيرَ الشَّانِ جَلِيلَ الْقَدْرِ، حَبِيبًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ

يُقَالُ لَهُ:- الْحَبِّ، وَ يُقَالُ لِابْنِهِ أُسَامَةَ: الْحَبِّ ابْنُ الْحَبِّ

وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ زَوَّجَهُ بِابْنَةِ عَمَّتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشِ الْأَسَدِيَّةِ - فَمَكَثَتْ عِنْدَهُ قَرِيبًا مِنْ سَنَةٍ أَوْ

فَوْقَهَا، ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَهُمَا، فَجَاءَ زَيْدٌ يَشْكُوهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ نَاصِحًا لَهُ وَ مَخْبِرًا بِمَصْلَحَتِهِ مَعَ وَقُوعِهَا

في قلبك:-

(أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) لا تفارقها و اصبر على ما جاءك منها (وَأَتَى اللَّهَ) تعالى في أمورك عامة

و في أمر زوجك خاصة فإن التقوى، تحت على الصبر و تأمر به.

(وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) و الذي أخفاه، أنه لو طلقها زيد، لتزوجها ﷺ

*الصحيح المسند من أسباب النزول: البخاري 4787 - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ

وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ [الأحزاب: 37] نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ وَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ

(وَتَخْشَى النَّاسَ) في عدم إبداء ما في نفسك (وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) و أن لا تبالههم شيئاً،

(فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا) طابت نفسه و رغب عنها و فارقها (زَوْجَنَكُمَا)

مسلم (1428) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَزَيْدٍ: «فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ» قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى

أَتَاهَا وَ هِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَهَا،

فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي، وَ نَكَصْتُ عَلَى عَقْبِي، فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُكَ، قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ

رَبِّي، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا، وَ نَزَلَ الْقُرْآنُ، وَ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ قَالَ، فَقَالَ: وَ لَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ

اللَّهِ ﷺ أَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَ اللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ فَخَرَجَ النَّاسُ وَ بَقِيَ رَجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَ اتَّبَعْتُهُ، فَجَعَلَ يَتَّبَعُ حَجَرَ نِسَائِهِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ، وَ يَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟

قَالَ: فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبَرَنِي، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، فَذَهَبَتْ أَدْخُلُ مَعَهُ،

فَالْقَى السَّتْرَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ، وَ نَزَلَ الْحِجَابُ، قَالَ: وَوَعِظَ الْقَوْمَ مِمَّا وَعِظُوا بِهِ زَادَ ابْنُ رَافِعٍ فِي حَدِيثِهِ:

{ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَّا} [الأحزاب: 53] إِلَى قَوْلِهِ {وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} [الأحزاب: 53]

و إنما فعلنا ذلك، لفائدة عظيمة و هي: (لَكِنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ)

حيث راوك تزوجت، زوج زيد بن حارثة، الذي كان من قبل، ينتسب إليك.

-الصحيح المسند من أسباب النزول:- عن ثابت عن أنس قال نزلت في زينب بنت جحش {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا

زَوْجَنَا كَهَا} قال فكانت تفخر على نساء النبي ﷺ تقول: زوجكن أهلكن وزوجني الله من فوق سبع سموات

○ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لما انقضت عدة زينب بنت جحش قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة ما أجد أحدا آمن

عندي و أوثق في نفسي منك انت إلى زينب فاخطبها علي قال فانطلق زيد فأتاها وهي تخمر عجينها فلما رأيتها

عظمت في صدري فلم أستطع أن أنظر إليها حين عرفت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فوليتها ظهري و نكصت على عقبي

و قلت يا زينب أبشري إن رسول الله ﷺ يذكرك قالت:

ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها و نزل القرآن {فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوْجَنَا كَهَا}

(لَكِنَّ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ) اثم

(فِي أَنْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ) في أن يتزوجوا من زوجات من كانوا يتبنونهم بعد طلاقهن

(إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا) إذا قضاوا منهن حاجتهم- و لم يبق له رغبة فيها لتعاليتها عليهاشرف نسبها

(وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) لا بد من فعله، و لا عائق له و لا مانع-وَ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي وَقَعَ قَدْ قَدَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى

و حَتَّمَهُ وَ هُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، كَانَتْ زَيْنَبٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ سَتَصِيرُ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ **37**

(مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ) إثم و ذنب (فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ) فِيمَا أَحَلَّ لَهُ وَ أَمَرَهُ بِهِ مِنْ تَزْوِيجِ زَيْنَبَ الَّتِي طَلَّقَهَا دَعِيَّهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ- قدر له من الزوجات فإن هذا، قد أباحه الله للأنبياء قبله

و لهذا قال: (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، لَمْ يَكُنْ لِيَأْمُرْهُمْ بِشَيْءٍ

وَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ حَرَجٍ (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) لا بد من وقوعه ثم ذكر من هم الذين من قبل قد خلوا **38**

و هذه سنتهم و عاداتهم و أنهم (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ)

فيتلون على العباد آيات الله و حججه و براهينه، و يدعونهم إلى الله

(وَيَخْشَوْنَهُ) وحده لا شريك له (وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ)

فإذا كان هذا، سنة في الأنبياء المعصومين الذين وظيفتهم قد أدوها و قاموا بها، أتم القيام و هو: دعوة الخلق إلى الله و الخشية منه وحده التي تقتضي فعل كل مأمور و ترك كل محظور دل ذلك على أنه لا نقص فيه بوجه.

(وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) محاسبًا عباده، مراقبًا أعمالهم و علم من هذا، أن النكاح، من سنن المرسلين **39**

(مَا كَانَ) لم يكن الرسول (مُحَمَّدٌ) ﷺ (أَبًا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ)

أيها الأمة فقطع انتساب زيد بن حارثة منه، من هذا الباب - لا أبوة نسب، و لا أبوة ادعاء

فَإِنَّهُ، ﷺ لَمْ يَعِشْ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرٌ حَتَّى بَلَغَ الْحُلُمَ فَإِنَّهُ وَلَدَ لَهُ: -الْقَاسِمُ وَ الطَّيِّبُ وَ الطَّاهِرُ مِنْ خَدِيجَةَ فَمَاتُوا صِغَارًا وَ وَلَدَ لَهُ: -إِبْرَاهِيمُ مِنْ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ فَمَاتَ أَيْضًا رَضِيعًا وَ كَانَ لَهُ مِنْ خَدِيجَةَ أَرْبَعُ بَنَاتٍ: -زَيْنَبُ، وَ رُقِيَّةٌ وَ أُمُّ كُلْثُومٍ وَ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، فَمَاتَ فِي حَيَاتِهِ ثَلَاثٌ وَ تَأَخَّرَتْ فَاطِمَةُ حَتَّى أَصِيبَتْ بِهِ ﷺ ثُمَّ مَاتَتْ بَعْدَهُ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ.

(وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) أي: هذه مرتبته مرتبة المطاع المتبوع، المُهْتَدَى به،

المؤمن له الذي يجب تقديم محبته، على محبة كل أحد، الناصح الذي لهم للمؤمنين كأنه أب لهم

(وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)

قد أحاط علمه بجميع الأشياء و يعلم حيث يجعل رسالاته و من يصلح لفضله، و من لا يصلح **40**

الامر بكثرة تسبيح الله و ذكره 41-44

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) يأمر تعالى المؤمنين، بذكره ذكرًا كثيرًا، —ن:—

تهليل، و تحميد، و تسبيح، و تكبير و غير ذلك —ن:— كل قول فيه قرينة إلى الله

و أقله أن يلازم الإنسان:- أوراد الصباح و المساء و أدبار الصلوات الخمس و عند العوارض و الأسباب **41**

(وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) أول النهار و آخره لفضلها و شرفها و سهولة العمل فيها- عِنْدَ الصَّبَاحِ وَ الْمَسَاءِ **42**

(هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ) هَذَا تَهْيِيجٌ إِلَى الذِّكْرِ- إِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَذْكُرْكُمْ فَادْكُرُوهُ أَنْتُمْ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:-

وَ الصَّلَاةَ مِنَ اللَّهِ :- ثَنَاؤُهُ عَلَى الْعَبْدِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ

(وَمَلَائِكَتُهُ) وَ أَمَّا الصَّلَاةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ :- فَبِمَعْنَى الدُّعَاءِ لِلنَّاسِ وَ الْإِسْتِغْفَارِ

(لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) بِسَبَبِ رَحْمَتِهِ بِكُمْ وَ ثَنَائِهِ عَلَيْكُمْ وَ دُعَاءِ مَلَائِكَتِهِ لَكُمْ يُخْرِجُكُمْ

مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَ الضَّلَالِ إِلَى نُورِ الْهُدَى وَ الْيَقِينِ (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ
أَمَّا فِي الدُّنْيَا:- 1- فَإِنَّهُ هَدَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي جَهِلَهُ غَيْرُهُمْ 2- وَ بَصَّرَهُمُ الطَّرِيقَ الَّذِي ضَلَّ عَنْهُ وَ حَادَ عَنْهُ
مِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى الْكُفْرِ أَوْ الْبِدْعَةِ وَ أَشْيَاعِهِمْ مِنَ الطَّغَامِ .

3- وَ مِنْ رَحْمَتِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَ لَطْفِهِ بِهِمْ :- أَنْ جَعَلَ مِنْ صَلَاتِهِ عَلَيْهِمْ، وَ ثَنَائِهِ، وَ صَلَاةَ مَلَائِكَتِهِ وَ دُعَائِهِمْ،

مَا يَخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الذُّنُوبِ وَ الْجَهْلِ، إِلَى:- نُورِ الْإِيمَانِ، وَ التَّوْفِيقِ، وَ الْعِلْمِ، وَ الْعَمَلِ،

○ فهذه أعظم نعمة، أنعم بها على العباد الطائعين تستدعي منهم :-

1- شكرها 2- وَ الْإِكْتِسَارَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ الَّذِي لَطَفَ بِهِمْ وَ رَحِمَهُمْ،

و جعل حملة عرشه، أفضل الملائكة و من حوله، يسبحون بحمد ربهم و يستغفرون للذين آمنوا

وَ أَمَّا رَحْمَتُهُ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ:-

1- فَأَمَنَهُمْ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ 2- وَ أَمَرَ مَلَائِكَتَهُ بِالتَّلَقُّونَهُمْ بِالْبِشَارَةِ بِالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ وَ النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ

وَ مَا ذَاكَ إِلَّا لِمَحَبَّتِهِ لَهُمْ وَ رَأْفَتِهِ بِهِمْ **43**

يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾
 وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾
 وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ يَكْفِيَ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوْنَهَا
 فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَاحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ
 وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ
 الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا
 خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
 لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

(يَحْيَتُهُمْ) من الله تعالى (يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ) (يَوْمَ يُسَلَّمُ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمًا} [يس:58])

(وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) الجنة و ما فيها م ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

- و أما رحمته بهم في الآخرة، فأجل رحمة، و أفضل ثواب، و هو:-

1- الفوز برضا ربهم 2- و تحيته 3- و استماع كلامه الجليل 4- و رؤية وجهه الجميل 5- و حصول الأجر الكبير

مهمة النبي و بعض صفاته 45-48

و لهذا قال: (يَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) 44

(يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ)

-البخاري 4838- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ:

{يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب: 45] قَالَ فِي التَّوْرَةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا
 وَحَرًّا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِيتُكَ الْمُتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِقَطُّ وَ لَا غَلِيظَ، وَ لَا سَخَّابَ بِالْأَسْوَاقِ وَ لَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ
 بِالسَّيِّئَةِ، وَ لَكِنْ يَغْفُو وَ يَصْفَحُ، وَ لَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَةَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا
 عُمِيًّا، وَ آذَانًا صُمًّا، وَ قُلُوبًا غُلْفًا "

○ الأشياء التي وصف الله بها رسوله محمدًا ﷺ هي المقصود من رسالته و زيدتها و أصولها التي اختص بها:-

1- كونه (شَهِيدًا) أي: شاهداً على أمته بما عملوه، من خير و شر يوم القيامة

شاهداً لله بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَ عَلَى النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ كقوله (لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: 143]

2+3 كونه (وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) يستلزم ذكر المبشر والمنذر وما يبشر به وينذر و الأعمال الموجبة لذلك.

فالمبشِّر هم:- المؤمنون المتقون الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح وترك المعاصي

و المنذر هم:- المجرمون الظالمون لهم النذارة في الدنيا من العقوبات الدنيوية و الدينية

و في الأخير:- بالعقاب الويل، و العذاب الطويل. 45

4- كونه (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ) أرسله الله يدعو الخلق إلى ربهم و يسوقهم لكرامته و يأمرهم بعبادته التي خلقوا لها،

و ذلك يستلزم استقامته، على ما يدعو إليه و ذكر تفاصيل ما يدعو إليه، بتعريفهم لربهم بصفاته المقدسة،

و تنزيهه عما لا يليق بجلاله (يَاذِينِهِ) الله تعالى له في الدعوة و أمره و إرادته و قدره.

5- كونه (وَسِرَاجًا مُنِيرًا) أمرُك ظاهرٌ فيما جئت به مِنَ الْحَقِّ كَالشَّمْسِ فِي إِشْرَاقِهَا لَا يَجْحَدُهَا إِلَّا مُعَانِدٌ 46

(وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) 47

(وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) في كل أمر يصد عن سبيل الله و لكن لا يقتضي هذا أذاهم بل لا تطعهم

(وَدَعِ أَذْنَهُمْ) فإن ذلك جالب لهم و داع إلى قبول الإسلام و إلى كف كثير من أذيتهم له و لأهله.

(وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) في إتمام أمرُك و خذلان عدوك

(وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) تُوكِّلُ إليه الأمور المهمة فيقوم بها و يسهلها على عبده 48

حكم الطلاق بعد المساس

(يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ)

المطلقة قبل الدخول، لا عدة عليها، بل بمجرد طلاقها يجوز لها التزوج حيث لا مانع على أن عليها العدة،

بعد الدخول (فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ) دل مفهومه أنه لو طلقها بعد المسيس كان له عليها عدة

و على أن المفارقة بالوفاة، تعدد مطلقاً، لقوله: (ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ) الآية و على أن من عدا غير المدخول بها، من

المفارقات من الزوجات، بموت أو حياة، عليهن العدة.

(فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا)

الْمُتَّعَةُ هَاهُنَا أَعْمٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ نِصْفَ الصَّدَاقِ الْمُسَمَّى، أَوِ الْمُتَّعَةُ الْخَاصَّةُ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ سَمِيَ لَهَا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ) [البقرة: 237]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:- إِنْ كَانَ سَمِيَ لَهَا صَدَاقًا، فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا النِّصْفُ

وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ سَمِيَ لَهَا صَدَاقًا فَأَمْتَعَهَا عَلَى قَدْرِ عُسْرِهِ وَ يُسْرِهِ، وَ هُوَ السَّرَاحُ الْجَمِيلُ 49

جانب من خصوصيات النبي 50-52

(يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ)

أعطيتهن مهورهن من الزوجات

و هذا من الأمور المشتركة بينه و بين المؤمنين، فإن المؤمنين كذلك يباح لهم ما آتوهن أجورهن من الأزواج.

(و) كذلك أحلنا لك (وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) الإمام التي ملكت (مِمَّا أَفَاءَ) أنعم (اللَّهُ عَلَيْكَ) وَ أَبَاحَ لَكَ التَّسْرِي مِمَّا أَخَذْتَ مِنَ الْمَغَانِمِ وَ قَدْ مَلَكَ: 1-صَفِيَّةَ 2-وَ جُوَيْرِيَةَ فَأَعْتَقَهُمَا وَ تَزَوَّجَهُمَا.

3-وَ مَلَكَ رِيحَانَةَ بِنْتَ شَمْعُونِ النَّضْرِيَّةَ 4-وَ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةَ أُمُّ ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ كَانَتْ مِنَ السَّرَارِي

(وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ) هَذَا عَدْلٌ وَ سَطٌ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَ التَّفْرِيطِ

فَإِنَّ النَّصَارَى: لَا يَتَزَوَّجُونَ الْمَرْأَةَ إِلَّا إِذَا كَانَ الرَّجُلُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهَا سَبْعَةُ أَجْدَادٍ فَصَاعِدًا

وَ الْيَهُودُ: يَتَزَوَّجُ أَحَدُهُمْ بِنْتَ أَخِيهِ وَ بِنْتَ أُخْتِهِ فَجَاءَتْ الشَّرِيعَةُ الْكَامِلَةُ بِهِمْ إِفْرَاطِ النَّصَارَى فَأَبَاحَ: - بِنْتُ الْعَمِّ وَ الْعَمَّةِ، وَ بِنْتُ الْخَالِ وَ الْخَالَةِ وَ تَحْرِيمٌ: مَا فَرَطْتَ فِيهِ الْيَهُودُ مِنْ إِبَاحَةِ بِنْتِ الْأَخِ وَ الْأُخْتِ

(الَّتِي هَاجَرَنَ مَعَكَ) قيد لحل هؤلاء للرسول، كما هو الصواب من القولين، في تفسير هذه الآية،

و أما غيره عليه الصلاة و السلام، فقد علم أن هذا قيد لغير الصحة

(و) أحلنا لك (وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) بمجرد هبتها نفسها

(إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا) هذا تحت الإرادة و الرغبة

(خَالِصَةً لَكَ) يَحِلُّ لَكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ الْمَرْأَةُ الْمُؤْمِنَةُ إِذَا وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَكَ أَنْ تَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ مَهْرٍ إِنْ شِئْتَ

-البخاري 310- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَكَ مِنْ نَفْسِي فَقَالَ رَجُلٌ: زَوَّجْنِيهَا قَالَ: «قَدْ زَوَّجْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ» ()

(مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) إِبَاحَةُ الْمَوْهَبَةِ وَ أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ، فَلَا يَحِلُّ لَهُمْ أَنْ يَتَزَوَّجُوا امْرَأَةً بِمَجْرَدِ هَبَتِهَا نَفْسَهَا لَهُمْ

(قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ)

قد علمنا ما على المؤمنين من حصرهم في أربع نسوة حرائر و ما شاءوا من الإماء و اشترائط الولي و المهر و الشهود عليهم و هم الأمة و قد رخصنا لك في ذلك، فلم نوجب عليك شيئاً منه

(لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ) لئلا يضيق صدرك في نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف-

و هذا من زيادة اعتناء الله تعالى برسوله ﷺ و تكريمه له

(وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) و كان الله غفوراً لذنوب عباده المؤمنين

(رَحِيمًا) بالتوسعة عليهم-لم يزل متصفاً بالمغفرة و الرحمة و ينزل على عباده من مغفرته و رحمته و جوده

و إحسانه ما اقتضته حكمته و وجدت منهم أسبابه 50

(امراة) هي خولة بنت حكيم وقيل أم شريك الأزدية رضي الله عنهما.(وهبت لك من نفسي) جعلت أمري إليك إن شئت تزوجتني وإن شئت زوجتني لمن رأيت (بها معك من القرآن) على أن تعلمها ما تحفظ من القرآن]

❖ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْنَعْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ^{٥١}

ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عِيَّتَهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ^{٥٢}
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا^{٥٣} لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا^{٥٤} يَتْلُوهُنَّ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ
إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظِرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا
وَلَا مُسْتَعْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ^{٥٥}
وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ
أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا^{٥٦}
إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفِّفُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا^{٥٧}

الصحيح المسند من أسباب النزول: صحيح البخاري 4788 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبَنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ أَقُولُ أَتَهَبُ الْمَرْأَةَ نَفْسَهَا؟» فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْنَعْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ) قُلْتُ: مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ

(تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) تؤخر من أردت من زوجاتك فلا تؤويها إليك و لا تبیت عندها- مِنَ الْوَاهِبَاتِ أَنْفُسَهُنَّ
***مِنْ أَزْوَاجِكَ لَا حَرَجَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَرَكَ الْقِسْمَ لَهُنَّ فَتَقْدِّمَ مَنْ شِئْتَ وَ تُؤَخِّرَ مَنْ شِئْتَ وَ تُجَامِعَ مَنْ شِئْتَ وَ تَتَرَكَ مَنْ شِئْتَ.

(وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) تضمها و تبیت عندها (و) مع ذلك لا يتعين هذا الأمر- مَنْ شِئْتَ قَبِلْتَهَا وَ مَنْ شِئْتَ رَدَدْتَهَا، وَ مَنْ رَدَدْتَهَا فَأَنْتَ فِيهَا أَيْضًا بِالْخِيَارِ بَعْدَ ذَلِكَ، إِنْ شِئْتَ عُدْتَ فِيهَا فَأَوَيْتَهَا؛

(وَمِنْ ابْنَعْتَ) أن تؤويها (مِمَّنْ عَزَلْتَ) و مَنْ طَلَبْتَ مِمَّنْ أَخَرْتَ قَسَمَهَا (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ) فلا إثم عليك في هذا

(ذَلِكَ) (التخيير- التوسعة عليك و كون الأمر راجعاً إليك و بيدك و كون ما جاء منك إليهن تبرعاً منك

(أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عِيَّتَهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ) أقرب إلى أن يفرحن و لا يحزن (وَيَرْضَيْنَ) كلهن (بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلَّهُنَّ) قسمت لهن- لعلهن أنك لم تترك واجباً، و لم تفرط في حق لازم.

(وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) مِنَ الْمَيْلِ إِلَى بَعْضِهِنَّ دُونَ بَعْضٍ مِمَّا لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ- ما يعرض لها عند أداء الحقوق الواجبة و المستحبة و عند المزاحمة في الحقوق فلذلك شرع لك التوسعة يا رسول الله لتطمئن قلوب زوجاتك

(وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بِضَمَائِرِ السَّرَائِرِ (حَلِيمًا) لا يعجل بالعقوبة على من عصاه 51

(لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) زوجاتك الموجودات (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مَنْ أَنْزَلْنَا) ولا تطلق بعضهن، فتأخذ بدلها
فحصل بهذا، أمنهن من: -

1- الضرائر 2- ومن الطلاق لأن الله قضى أنهن زوجاته في الدنيا والآخرة لا يكون بينه وبينهن فرقة.

(وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ) حسن غيرهن فلا يحلن لك (إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) السراي فذلك جائز لك

لأن المملوكات، في كراهة الزوجات لسن بمنزلة الزوجات، في الإضرار للزوجات

(وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا) مراقبًا للأمر و عالمًا بما إليه تؤول و قائمًا بتدبيرها على أكمل نظام و احكام.

* البخاري 402 - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَافَقْتُ رَبِّي فِي ذَلِكَ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًى، فَنَزَلْتُ: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًى} [البقرة: 125] وَآيَةُ الْحِجَابِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتُ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَنَزَلْتُ آيَةَ الْحِجَابِ وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرةِ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُنَّ: (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ) فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ "

وَكَانَ وَقْتُ نَزُولِهَا فِي صَبِيحَةِ عُرْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِزَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ، الَّتِي تَوَلَّى اللَّهُ تَعَالَى تَزْوِيجَهَا بِنَفْسِهِ،

الآداب الاسلامية 53-55

وَكَانَ ذَلِكَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ 52

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ) حَظَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْخُلُوا مَنَازِلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِغَيْرِ إِذْنٍ، كَمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَصْنَعُونَ فِي بُيُوتِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَابْتِدَاءَ الْإِسْلَامِ حَتَّى غَارَ اللَّهُ لَهُذِهِ الْأُمَّةِ، فَأَمَرَهُمْ بِذَلِكَ، وَ ذَلِكَ مِنْ إِكْرَامِهِ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ - البخاري 5232 عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! الدُّخُولُ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمَومَ؟ قَالَ: «الْحَمَمُ الْمَوْتُ» ثُمَّ اسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ:-

(إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ) لا تدخلوها بغير إذن للدخول فيها، لأجل الطعام.

(غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ) منتظرين و متأنين لانظار نضجه، أو سعة صدر بعد الفراغ منه- لا ترقبوا الطَّعَامَ حَتَّى إِذَا قَارَبَ الْإِسْتَوَاءَ تَعَرَّضْتُمْ لِلدُّخُولِ، فَإِنَّ هَذَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَ يَذُمُّهُ. وَ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ التَّطْفِيلِ،
و المعنى: لا تدخلوا بيوت النبي إلا بشرطين: - 1- الإذن لكم بالدخول 2- و أن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة

(وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا) مسلم (1429) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا

(فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَأَنْتَشِرُوا) أكلتم فانصرفوا (وَلَا مُسْتَعْسِينَ لِحَدِيثٍ) قبل الطعام و بعده.

كَمَا وَقَعَ لِأَوَّلِكَ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ اسْتَرْسَلَ بِهِمُ الْحَدِيثُ وَ نَسُوا أَنْفُسَهُمْ، حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ (إِنَّ ذَلِكَ لَكُمْ) انتظاركم الزائد على الحاجة

(كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ) يتكلف منه و يشق عليه حبسكم إياه عن شئون بيته و اشتغاله فيه

(فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ) أن يقول لكم: « اخرجوا » كما هو جاري العادة:-

أن الناس -و خصوصًا أهل الكرم منهم- يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم،

(و) لكن (وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ)

فالأمر الشرعي و لو كان يتوهم أن في تركه أدبا و حياء فإن الحزم كل الحزم، اتباع الأمر الشرعي و أن يجزم أن ما خالفه ليس من الأدب في شيء و الله تعالى لا يستحي أن يأمركم بما فيه الخير لكم و الرفق لرسوله كائنًا ما كان. فهذا أدبهم في الدخول في بيوته

(وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا) و إن احتيج إليه، كأن يسألن متاعًا، أو غيره من أواني البيت أو نحوها،

(فَسَأَلُوهُنَّ) فإنهن يُسألن

(مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) أى: يكون بينكم و بينهن ستر يستر عن النظر لعدم الحاجة إليه.

فصار النظر إليهن ممنوعًا بكل حال و كلامهن فيه التفصيل الذي ذكره الله

ثم ذكر حكمة ذلك بقوله: (ذَلِكَ لَكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر

النساء و للنساء في أمر الرجال [[[الروية سبب الفتنة]]] لأنه أبعد عن الريبة و كلما بعد الإنسان عن

الأسباب الداعية إلى الشر [[[فإنه أسلم له و أطهر لقلبه]]]

فلهذا من الأمور الشرعية التي بين الله كثيرًا من تفاصيلها، أن جميع وسائل الشر و أسبابه و مقدماته، ممنوعة و أنه مشروع، البعد عنها، بكل طريق.

ثم قال كلمة جامعة و قاعدة عامة: (وَمَا كَانَ لَكُمْ) يا معشر المؤمنين أي: غير لائق و لا مستحسن منكم

بل هو أقبح شيء (أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ) أذية قولية أو فعلية بجميع ما يتعلق به،

(وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا) هذا من جملة ما يؤذيه:-

1- فإنه ﷺ له مقام التعظيم، و الرفعة و الإكرام، و تزوج زوجاته بعده منخل بهذا المقام.

2- و أيضا فإنهن زوجاته في الدنيا و الآخرة و الزوجية باقية بعد موته فلذلك لا يحل نكاح زوجاته بعده لأحد

(إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا)

و قد امتثلت هذه الأمة هذا الأمر و اجتنبت ما نهى الله عنه منه 53

(إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا) تظهروه

(أَوْ تُخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) يعلم ما في قلوبكم و ما أظهرتموه فيجازيكم عليه-

أى: مهما تكتمه ضمائرکم و تنطوي عليه سرائرکم

فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ فَإِنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ {يَعْلَمُ خَافِيَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر: 19] 54

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيْ ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ
وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾
إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾
وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ
فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ * لَّيْنٌ لِّمَنْ يَنْتَهِ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ
وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾
مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾
سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدَلَ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

(لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ) في عدم الاحتجاب عنهم.

(فِي ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ)

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنِ الشَّعْبِيِّ وَ عِكْرَمَةَ فِي الْآيَةِ قُلْتُ: مَا شَأْنُ الْعَمِّ وَ الْخَالِ لَمْ يُذْكَرَا؟ قَالَا هُمَا يَنْتَعَتَانِهَا لِأَبْنَائِهِمَا وَ كَرِهَا أَنْ تَضَعَ خِمَارَهَا عِنْدَ خَالِهَا وَ عَمِّهَا.

(وَلَا نِسَائِهِنَّ)

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ إِلَّا يَحْتَجِبْنَ عَنْ نِسَائِهِنَّ أَيْ: اللَّاتِي مِنْ جَنَسِهِنَّ فِي الدِّينِ فَيَكُونُ ذَلِكَ مَخْرَجًا لِنِسَاءِ الْكُفَّارِ،

(وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) أَرْقَاءَهُنَّ مِنَ الذُّكُورِ وَ الْإِنَاثِ كَمَا تَقَدَّمَ التَّنْبِيْهُ عَلَيْهِ، وَ إِيْرَادُ الْحَدِيثِ فِيهِ

-أَبِي دَاوُدَ 4106- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى فَاطِمَةَ بَعْدَ كَنْ قَدْ وَهَبَهُ لَهَا قَالَ: وَ عَلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نَوْبٌ، إِذَا قَنَعَتْ بِهِ رَأْسَهَا لَمْ يَبْلُغْ رَجُلِيْهَا وَ إِذَا غَطَّتْ بِهِ رَجُلِيْهَا لَمْ يَبْلُغْ رَأْسَهَا، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَا تَلَقَّى قَالَ:- «إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ، إِنَّمَا هُوَ أَبُوكِ وَ غَلَامُكِ»

و لما رفع الجناح عن هؤلاء، شرط فيه و في غيره، لزوم تقوى الله و أن لا يكون في محذور شرعي

فقال: (وَ اتَّقِينَ اللَّهَ) استعملن تقواه في جميع الأحوال (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا)

يشهد أعمال العباد، ظاهرها و باطنها، و يسمع أقوالهم، و يرى حركاتهم، ثم يجازيهم على ذلك 55

(إِنَّ اللَّهَ) تعالى (وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) صَلَاةُ اللَّهِ:- ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ وَ صَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: الدُّعَاءُ.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) 1- اقتداء بالله و ملائكته 2- و جزاء له على بعض حقوقه عليكم 3- و تكميلا لإيمانكم 4- و تعظيماً له ﷺ 5- و محبة و إكراماً 6- و زيادة في حسناتكم 7- و تكفيراً من سيئاتكم و أفضل هيئات الصلاة عليه ﷺ ما علم به أصحابه:

« اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » 56

(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)

و هذا يشمل كل أذية، قولية أو فعلية من: -سب و شتم، أو تنقص له أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى.

(لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا) أبعدهم و طردهم، و من لعنهم في الدنيا أنه يحتم قتل من شتم الرسول، و آذاه.

(وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا)

جزاء له على آذاه، أن يؤذى بالعذاب الأليم فأذية الرسول، ليست كأذية غيره، لأنه - ﷺ - لا يؤمن العبد بالله، حتى يؤمن برسوله ﷺ و له من التعظيم الذي هو من لوازم الإيمان، ما يقتضي ذلك، أن لا يكون مثل غيره. و إن كانت أذية المؤمنين عظيمة، و إثمها عظيماً 57

لذا قال (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا) بغير جناية منهم موجبة للأذى

(فَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمُ) على ظهورهم

(بُهْتَانًا) حيث آذوهم بغير سب-فقد ارتكبوا أفحش الكذب و الزور (وَأَشْمَأَزَّتْ قُلُوبُهُمْ) و أتوا ذنباً ظاهر القبح

يستحقون به العذاب في الآخرة حيث تعدوا عليهم و انتهكوا حرمة أمر الله باحترامها 58

فرض الحجاب

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ)

هذه الآية التي تسمى آية الحجاب فأمر الله نبيه، أن يأمر النساء عموماً، و يبدأ بزوجاته و بناته لأنهن آكد من غيرهن و لأن الأمر لغيره ينبغي أن يبدأ بأهله قبل غيرهم كقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) أن (يُدْنِيكَ عَلَيْكَ مِنْ جَلِيصِيهِنَّ) الْجَلْبَابُ هُوَ: الرِّدَاءُ فَوْقَ الْخِمَارِ

ثم ذكر حكمة ذلك فقال: (ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفَ فَلَا يُؤْذَنَ) دل على وجود أذية، إن لم يحتجب

و ذلك لأنهن إذا لم يحتجبْنَ:-

1-ربما ظنَّ أنهن غير عفيفات فيتعرض لهن من في قلبه مرض فيؤذيهن

2-و ربما استهين بهن و ظنَّ أنهن إمء فتهاون بهن من يريد الشر

(وَكَاثَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) لِمَا سَلَفَ فِي أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُنَّ عِلْمٌ بِذَلِكَ 59

تهديد المنافقين و توعدهم الكفار بقرب الساعة 60-68

(لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) مرض شك أو شهوة (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ)

المخوفون المرهبون الأعداء، المحدثون بكثرتهم وقوتهم، و ضعف المسلمين.

و لم يذكر المعمول الذي ينتهون عنه ليعم ذلك كل ما توحى به أنفسهم إليهم و توسوس به من الشر من:-

1-التعريض بسب الإسلام و أهله 2-و الإرجاف بالمسلمين و توهين قواهم

3-و التعرض للمؤمنات بالسوء و الفاحشة

(لَنُغَرِّبَنَّكَ بِهِمْ)

نأمرك بعقوبتهم و قتالهم و نسلطك عليهم ثم إذا فعلنا ذلك لا طاقة لهم بك و ليس لهم قوة و لا امتناع

(ثُمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا) لا يجاورونك في المدينة (إِلَّا قَلِيلًا) بأن تقتلهم أو تنفيهم 60

(مَلْعُونِينَ) مبعدين (أَيْنَمَا تُقِفُوا)

أين وجدوا لا يحصل لهم أمن و لا يقر لهم قرار يخشون أن يقتلوا أو يحبسوا أو يعاقبوا

(أَخِذُوا وَقَتْلُوا تَفْتِيلًا) لذلتهم و قتلهم 61

(سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ)

أن من تمادى في العصيان و تجرأ على الأذى و لم ينته منه فإنه يعاقب عقوبة بليغة.

(وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) تغييرًا بل سنته تعالى و عادته جارية مع الأسباب المقتضية لأسبابها 62

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ^ط قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ^{٦٣}
 إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ^{٦٤} خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ^{٦٥}
 يَوْمَ نُقَلِّبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ^{٦٦} وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا
 وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ^{٦٧} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا ^{٦٨}
 يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ^{٦٩}
 يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ^{٧٠} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
 وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ^{٧١} إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ
 فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ^{٧٢}
 لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ^{٧٣}

(يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ^ط) 1- استعجالاً لها 2- وبعضهم تكديماً لوقوعها 3- وتعجيراً للذي أخبر بها.
 (قُلْ) لهم (إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ^ع) لا يعلمها إلا الله، فليس لي، و لا لغيري بها علم و مع هذا، فلا تستبظوها.
 (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) و مجرد مجيء الساعة، قريباً و بعداً، ليس تحته نتيجة و لا فائدة 63
 (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ) الذين صار الكفر دأبهم و طريقتهم الكفر بالله و برسله و بما جاءوا به من عند الله
 فأبعدهم في الدنيا و الآخرة من رحمته و كفى بذلك عقاباً (وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) ناراً موقدة تسعر في أجسامهم 64
 (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ^ط) و يخلدون في ذلك العذاب الشديد فلا يخرجون منه و لا يُفَتَّر عنهم ساعة.
 و (لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) فيعطيهما ما طلبوه (وَلَا نَصِيرًا) يدفع عنهم العذاب بل قد تخلى عنهم الولي النصير 65
 و أحاط بهم عذاب السعير و بلغ منهم مبلغاً عظيماً (يَوْمَ نُقَلِّبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ) فيذوقون حرها و يشتد عليهم
 أمرها، و يتحسرون على ما أسلفوا- يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ- وَ تَلَوَّى وُجُوهَهُمْ عَلَى جَهَنَّمَ يَقُولُونَ
 وَ هُمْ كَذَلِكَ (يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ) فسلمنا من هذا العذاب و استحققنا كالمطيعين
 جزيل الثواب و لكن أمنية فات وقتها فلم تغداهم إلا حسرة و ندمًا، و همًا، و غمًا، و ألمًا 66
 (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا) الاشراف- الأُمَرَاءُ (وَكِبَرَاءَنَا) العلماء-- لُجَرَاءُ مِنَ الْمَشِيخَةِ- قلدناهم على ضلالهم

(فَأَضْلُوا السَّبِيلَ) 67 و لما علموا أنهم هم و كبراءهم مستحقون للعقاب أرادوا أن يشتفوا ممن أضلّوهم قالوا:- (رَبَّنَا آتِنَا مِنْكَ الْعَذَابَ) بِكُفْرِهِمْ وَ إِغْوَانِهِمْ إِيَّانَا فيقول الله لكل ضعف فكلكم اشتركتم في الكفر و المعاصي فتشتركون في العقاب و إن تفاوت عذاب بعضكم على بعض بحسب تفاوت الجرم.

(وَالْعَنَمُ لَنَا كَإِذَا) اطردهم من رحمتك طردًا شديدًا - و في هذا دليل على :-

1- أن طاعة غير الله في مخالفة أمره و أمر رسوله موجبة لسخط الله و عقابه،

2- و أن التابع و المتبوع في العذاب مشتركون فليحذر المسلم ذلك.

البخاري 3404 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا سَتِيرًا، لَا يَرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءً مِنْهُ، فَأَذَاهُ مَنْ أَذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسْتَرُ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ:- إِمَّا بَرَصٌ وَ إِمَّا أَدْرَةٌ وَ إِمَّا آفَةٌ، وَ إِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّكَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَ إِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَ طَلَبَ الْحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرٌ، ثَوْبِي حَجَرٌ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَ أَبْرَاهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَ قَامَ الْحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبَسَهُ، وَ طَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بَعْصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لِنَدْبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا) 68

توجيهات و عظات للمسلمين 69-71

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى) يحذر تعالى عباده المؤمنين عن أذية رسولهم محمد ﷺ النبي الكريم الرؤوف فيقابلوه بضد ما يجب له من الإكرام و الاحترام و أن لا يتشبهوا بحال الذين آذوا موسى عليه السلام (فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا) من الأذية أى: أظهر الله لهم براءته و الحال أنه عليه السلام، ليس محل التهمة و الأذية

(وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا) عظيم الجاه فإنه كان وجيها عند الله مقربًا لديه من خواص المرسلين و من المخلصين

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:- كَانَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَ قَالَ غَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ:- لَمْ يَسْأَلِ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ وَ لَكِنْ مَنَعَ الرُّؤْيَةَ لِمَا يَشَاءُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَ قَالَ بَعْضُهُمْ:- مِنْ وَجَاهَتِهِ الْعَظِيمَةِ: أَنَّهُ شَفَعَ فِي أَخِيهِ هَارُونَ أَنْ يُرْسِلَهُ اللَّهُ مَعَهُ فَأَجَابَ اللَّهُ سُؤَالَهُ 69

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) يأمر تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر و العلانية،

(وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) و يخص منها و يندب للقول السديد و هو القول الموافق للصواب أو المقارب له

عند تعذر اليقين من:- 1- قراءة و ذكر 2- و أمر بمعروف 3- و نهى عن منكر

4- و تعلم علم و تعليمه 5- و الحرص على إصابة الصواب في المسائل العلمية

6- و سلوك كل طريق يوصل لذلك و كل وسيلة تعين عليه

○ و من القول السديد:- 7- لين الكلام و لطفه في مخاطبة الأنام

8- و القول المتضمن للنصح و الإشارة بما هو الأصلح 70

ثم ذكر ما يترتب على تقواه و [قول القول السديد] فقال: (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) يكون ذلك سبباً لصلاحها،

و طريقاً لقبولها، لأن استعمال التقوى، تتقبل به الأعمال كما قال تعالى: - (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) و يوفق فيه الإنسان للعمل الصالح و يصلح الله الأعمال أيضاً بحفظها عما يفسدها و حفظ ثوابها و مضاعفته كما أن الإخلال بالتقوى و القول السديد سبب لفساد الأعمال و عدم قبولها و عدم تَرْتُّبِ آثارها عليها.

(وَيَغْفِرْ لَكُمْ) أيضاً (ذُنُوبَكُمْ) التي هي السبب في هلاككم فالتقوى تستقيم بها الأمور و يندفع بها كل محذور

الامانة 72-73

و لهذا قال: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) 71

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) يعظم تعالى شأن الأمانة، التي ائتمن الله عليها المكلفين التي هي: 1- امتثال الأوامر 2- واجتناب المحارم في حال السر و الخفية كحال العلانية

○ و أنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة: - السماوات و الأرض و الجبال عرض تخيير لا تحميم

○ و أنك إن قمت بها و أدتيتها على وجهها: - فلك الثواب

○ و إن لم تقومي بها، و لم تؤديه: - فعليك العقاب.

(فَأَبَيْنَا أَنْ نَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا) خوفاً أن لا يقمن بما حُمِّلْنَ، لا عصياناً لربهن، و لا زهداً في ثوابه

(وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)

عرضها الله على الإنسان على ذلك الشرط المذكور فقبلها و حملها مع ظلمه و جهله و ضعفه و حمل هذا الحمل الثقيل.

(إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) إنه كان شديد الظلم و الجهل لنفسه

○ فانقسم الناس - بحسب قيامهم بها و عدمه - إلى ثلاثة أقسام: -

1- منافقون أظهروا أنهم قاموا بها ظاهراً لا باطناً 2- و مشركون تركوها ظاهراً و باطناً

3- و مؤمنون قائمون بها ظاهراً و باطناً 72

(لِيُعَذِّبَ اللَّهُ) إِنَّمَا حَمَلَ ابْنُ آدَمَ الْأَمَانَةَ وَ هِيَ التَّكَالِيفُ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ (الْمُنْفِقِينَ) مِنْهُمْ

(وَالْمُنْفِقَتِ) وَ هُمْ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ خَوْفًا مِنْ أَهْلِهِ وَ يُبْطِنُونَ الْكُفْرَ مُتَابَعَةً لِأَهْلِهِ

(وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَةِ) وَ هُمْ الَّذِينَ ظَاهَرَهُمْ وَ بَاطَنُهُمْ عَلَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ وَ مُخَالَفَةِ رُسُلِهِ،

(وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) لِيَرْحَمَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْخَلْقِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَ مَلَائِكَه وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ

الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) و كان الله غفوراً للتائبين من عباده (رَجِيمًا) بهم 73

34-سورة سبأ-مكية هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ^١ وَالْحَكِيمُ الْخَبِيرُ^٢
يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهِ^٣ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ^٤
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ^٥ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ
فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ^٦
لِيَجْزِيَ^٧ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ^٨ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ^٩
وَالَّذِينَ سَعَوْا^{١٠} فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ^{١١} أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ^{١٢} وَيَرَى^{١٣} الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ^{١٤} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ نُنْذِرُكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ^{١٥} كُلُّ مَزْقٍ إِنْكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ^{١٦}

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي) الحمْد:- الشاء بالصفات الحميدة، والأفعال الحسنة،

فلله تعالى الحمْد، لأن: 1- جميع صفاته يُحمد عليها، لكونها صفات كمال

2- وأفعاله يُحمد عليها لأنها دائرة بين الفضل:- الذي يُحمد عليه و يشكر،

و العدل:- الذي يُحمد عليه و يُعترف بحكمته فيه. اثبات البعث و الرد على منكريه 9-1

○ و حمد نفسه هنا، على أن (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا و عبيدا يتصرف فيهم بحمده.

(وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ) لأن في الآخرة، يظهر من حمده، و الشاء عليه، ما لا يكون في الدنيا فإذا قضى الله تعالى

بين الخلائق كلهم و رأى الناس و الخلق كلهم، ما حكم به و كمال عدله و قسطه، و حكمته فيه حمدوه كلهم

على ذلك حتى أهل العقاب ما دخلوا النار، إلا و قلوبهم ممتلئة من حمده و أن هذا من جراء أعمالهم،

و أنه عادل في حكمه بعقابهم- و أما ظهور حمده في دار النعيم و الثواب:-

فذلك شيء قد تواردت به الأخبار و توافق عليه الدليل السمعي و العقلي، فإنهم في الجنة، يرون من توالي نعم

الله، و إدراك خيره، و كثرة بركاته، و سعة عطايه، التي لم يبق في قلوب أهل الجنة أمنية و لا إرادة إلا

وقد أعطي فوق ما تمنى و أراد بل يعطون من الخير ما لم تتعلق به أمانيتهم، و لم يخطر بقلوبهم

(وَهُوَ الْحَكِيمُ) في ملكه و تدبيره، الحكيم في أمره و نهيه (الْخَبِيرُ) المطلع على سرائر الأمور و خفاياها 1

(يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ) أي: من مطر و بذر و حيوان (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) من أنواع النباتات، و أصناف الحيوانات

(وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) من الأملاك و الأرزاق و الأقدار (وَمَا يَعْزِجُ فِيهَا) من الملائكة و الأرواح و غير ذلك.

(وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ) الذي الرحمة و المغفرة وصفه 2

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله و برسله، و بما جاءوا به فقالوا بسبب كفرهم: (لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ) ما هي، إلا هذه

الحياة الدنيا، نموت و نحيا. فأمر الله رسوله أن يرد قولهم و يبطله، و يقسم على البعث، و أنه سيأتيهم،

(عَلِمِ الْغَيْبِ) الأمور الغائبة عن أبصارنا، و عن علمنا، فكيف بالشهادة؟ (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ) لا يغيب عن علمه

(مِثْقَالُ ذَرَّةٍ) وزن فملة صغيرة (فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ) جميع الأشياء بدواتها و أجزائها حتى أصغر ما يكون

(وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) اللوح المحفوظ 3

*الحكمة الأولى من إعادة الابدان و قيام الساعة-

ثم ذكر المقصود من البعث فقال: (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا) بقلوبهم، صدقوا الله، و صدقوا رسله

(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) تصديقا لإيمانهم (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) لذنوبهم، بسبب إيمانهم و عملهم، يندفع بها

كل شر و عقاب. (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) بإحسانهم، يحصل لهم به كل مطلوب و مرغوب، و أمنية 4

(وَالَّذِينَ سَعَوْا) يشبطون الناس عن متابعة النبي ﷺ 1- كفرا بها 2- و تعجيزا لمن جاء بهـا

(فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ) مشاقين مغالين (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ) مؤلم لأبدانهم و قلوبهم 5

*الحكمة الثانية من إعادة الابدان و قيام الساعة:-

(وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) هَذِهِ حِكْمَةٌ أُخْرَى مَعْطُوفَةٌ عَلَى الَّتِي قَبْلَهَا وَ هِيَ أَنَّ

الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى الرَّسْلِ إِذَا شَاهَدُوا قِيَامَ السَّاعَةِ وَ مُجَازَاةَ الْأَبْرَارِ وَ الْفَجَارِ بِالَّذِي كَانُوا

قَدْ عُلِّمُوهُ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا أَوْهُ حِينَئِذٍ عَيْنَ الْيَقِينِ، وَ يَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ أَيْضًا:-

(هُوَ الْحَقُّ) الحق منحصر فيه و ما خالفه و ناقضه فإنه باطل، لأنهم وصلوا من العلم إلى درجة اليقين.

و يرون أيضا أنه في أوامره و نواهيه (وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ) و هو الإسلام (الْعَزِيزِ) المَنِيعُ الْجَنَابِ الَّذِي لَا يُغَالَبُ

وَ لَا يُمَانَعُ، بَلْ قَدْ قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ (الْحَمِيدِ) فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَ أَفْعَالِهِ وَ شَرْعِهِ وَ قَدَرِهِ 6

○ و ذلك أنهم جزموا بصدق ما أخبر به من وجوه كثيرة:-

1- من جهة علمهم بصدق ما أخبر به 2- و من جهة موافقته للأمر الواقعة و الكتب السابقة

3- و من جهة ما يشاهدون من أخبارها، التي تقع عيانا 4- و من جهة ما يشاهدون من الآيات العظيمة الدالة

عليها في الآفاق و في أنفسهم 5- و من جهة موافقتها لما دلت عليه أسماؤه تعالى و أوصافه.

و يــــرون في الأوامر و النواهي، أنها :-

1-تهدي إلى الصراط المستقيم، المتضمن للأمر بكل صفة تزكي النفس و تنمي الأجر و تفيد العامل و غيره
 كـالصدق و الإخلاص و بر الوالدين و صلة الأرحام و الإحسان
 إلى عموم الخلق و نحو ذلك.

2-و تنهى عن كل صفة قبيحة:- تدنس النفس، و تحبط الأجر و توجب الإثم و الوزر، مــــن:-
 الشــــرك و الزنــــا و الربــــا و الظلم في الدماء و الأمــــوال و الأعــــراض
 (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) على وجه التكذيب و الاستهزاء و الاستبعاد و ذكر وجه الاستبعاد-قال بعضهم لبعض:-
 (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ) يعنون بذلك الرجل، رسول الله ﷺ (يُنَبِّئُكُمْ)
 و أنه رجل أتى بما يستغرب منه، حتى صار - بزعمهم - فرجة يتفرجون عليه، و أعجوبة يسخرون منه،
 (إِذَا مَرِئَتْ كُلُّ مَرْيَةٍ) و أنه كيف يقول (إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ) بعدما مرقم البلى و تفرقت أوصالكم
 (إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) إنكم ستُحيون و تُبعثون من قبوركم؟ قالوا ذلك مِن فرط إنكارهم 7

أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾
 أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَسْأًا نَخْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ
 أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ ۚ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ
 مِنَّا فَضْلًا ۚ جِبَالٌ أَوْيٍ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّالُ لَهُ الْحَدِيدُ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ
 وَأَعْمَلُوا صَدِيقًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسْلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْحُها شَهْرٌ
 وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمَنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا
 نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ تَحْرِيْبٍ وَتَمْشِيلٍ وَجِفَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ
 أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ
 إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَ تَبِثَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ
 مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

○ فهذا الرجل الذي يأتي بذلك، هل (أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا؟) فتجراً عليه و قال ما قال (أَمْ بِهِ جِنَّةٌ؟)

فلا يستغرب منه، فإن الجنون فنون، و كل هذا منهم، على وجه العناد و الظلم

(بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) و منهم الذين قالوا تلك المقالة- لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا وَ لَا كَمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ
 بَلْ مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ الصَّادِقُ الْبَارُّ الرَّاشِدُ الَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ الْكَذِبَةُ الْجَهْلَةُ الْأَغْيَاءُ،

(فِي الْعَذَابِ) فِي الْكُفْرِ الْمُفْضِي بِهِمْ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ (وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ) مِنْ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا- فِي الشَّقَاءِ الْعَظِيمِ
 و الضلال البعيد، الذي ليس بقريب من الصواب- و أي شقاء و ضلال، أبلغ من -

1- إنكارهم لقدرة الله على البعث و تكذيبهم و استهزائهم به 2- و جزمهم بأن ما جاءوا به هو الحق

فأروا الحق باطلا و الباطل و الضلال حقا و هدى 8

(أَفَلَمْ يَرَوْا) أنهم لو نظروا (إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) فأروا من قدرة الله فيهما
 ما يبهر العقول، و من عظمتها ما يذهل العلماء الفحول و أن خلقهما و عظمتها و ما فيهما من المخلوقات
 أعظم من إعادة الناس - بعد موتهم - من قبورهم فما الحامل لهم، على ذلك التكذيب مع التصديق،
 بما هو أكبر منه؟ نعم ذاك خبر غيبي إلى الآن، ما شاهدوه، فلذلك كذبوا به

(إِنْ نَسْأًا نَخْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ) كما فعلنا بقارون (أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ)

أو نزل عليهم قطعاً من العذاب كما فعلنا بقوم شعيب، فقد أمطرت السماء عليهم ناراً فأحرقتهم

(**إِنَّ فِي ذَلِكَ**) خلق السماوات و الأرض، و ما فيهما من المخلوقات

(**لَا يَأْتِيَنَّكَ عَبْدٌ مُنِيبٌ**) فكلما كان العبد أعظم إنابة إلى الله، كان انتفاعه بالآيات أعظم

لأن **المنيب**: 1- **مقبل إلى ربه**، قد توجهت إراداته و هماته لربه

2- و رجع إليه في كل أمر من أموره، فصار قريباً من ربه ليس له هم إلا الاشتغال بمرضاته

3- فيكون نظره للمخلوقات نظر فكرة و عبرة لا نظر غفلة غير نافعة 9 نعم الله على داود و سليمان 24-10

(**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا**) منّا على عبدنا و رسولنا (**دَاوُدَ مِنَّا**) عليه الصلاة و السلام، و آتيناه (**فَضْلاً**) من العلم النافع،

و العمل الصالح، و النعم الدينية و الدنيوية، (**يَجِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرِ**) و من نعمه عليه، ما خصه به من أمره

تعالى الجمادات كالجبال و الحيوانات من الطيور أن: -تُؤَوَّب معه و تُرَجَّع التسييح بحمد ربهها مجاوبة له

-البخاري 5048 - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ» ()

(**وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ**) كَانَ لَا يَحْتَاجُ أَنْ يَدْخُلَهُ نَارًا وَ لَا يَضْرِبُهُ بِمِطْرَقَةٍ بَلْ كَانَ يَفْتِلُهُ بِيَدِهِ مِثْلَ الْخُيُوطِ 10

(**أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ**) لعمل الدروع السابغات وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَهَا مِنَ الْخَلْقِ وَ إِذَا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ صَفَائِحُ

(**وَقَدَّرَ فِي السَّرَدِ**) و علمه تعالى كيفية صنعته، بأن يقدره في السرد-يقدره حلماً، و يصنعه كذلك،

ثم يدخل بعضها بعض-لا تُدَقُّ الْمِسْمَارَ فَيَقْلَقُ فِي الْحَلَقَةِ، وَ لَا تُغْلَظُهُ فَيَقْصِمَهَا، وَ اجْعَلْهُ بِقَدَرٍ.

{ **وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ** } [الأنبياء: 80]

(**أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرَدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا**)

○ و لما ذكر ما امتن به عليه و على آله:-

1- أمره بشكره 2- و أن يعملوا صالحاً (**وَأَعْمَلُوا صَالِحًا**) 3- و يراقبوا الله تعالى فيه بإصلاحه و حفظه من

المفسدات (**إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**) فإنه بصير بأعمالهم، مطلع عليهم، لا يخفى عليه منها شيء.

(**وَلَسَلِمَتْنَا مِنَ الرِّيحِ**) لما ذكر فضله على داود عليه السلام ذكر فضله على ابنه سليمان، عليه السلام

و أن الله سخر له الريح تجري بأمره، و تحمله، و تحمل جميع ما معه،

و تقطع المسافة البعيدة جداً، في مدة يسيرة فتسير في اليوم مسيرة شهرين (**غُدُوها شَهْرٌ**) أول النهار إلى الزوال

(**وَرَوْاحُها شَهْرٌ**) من الزوال إلى آخر النهار (**وَأَسَلْنَا لَهُ**) سخرنا له (**عَيْنَ الْقَطْرِ**) النحاس

و سهلنا له الأسباب، في استخراج ما يستخرج منها من الأواني و غيرها.

(وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ) و سخر الله الشياطين و الجن لا يقدرّون أن يستعصوا عن أمره،

(وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا) و مَن يَعْدِلْ وَ يَخْرُجْ مِنْهُمْ عَنِ الطَّاعَةِ (نَذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) وَ هُوَ الْحَرِيقُ

(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ) و أعمالهم كل ما شاء سليمان، عملوه (مِنْ مَّحَرِّبٍ)

و هو كل بناء يعقد، و تحكم به الأبنية-المَحَارِيبُ:-الْبِنَاءُ الْحَسَنُ، وَ هُوَ أَشْرَفُ شَيْءٍ فِي الْمَسْكَنِ وَ صَدْرُهُ.

(وَتَمَثِّلَ) صور الحيوانات و الجمادات، من إتقان صنعتهم، و قدرتهم على ذلك و عملهم لسليمان

(وَحِفَانٍ) قِصَاع كبيرة (كَلْجَوَابٍ) كالأحواض التي يجتمع فيها الماء،-كالبرك الكبار، يعملونها لسليمان للطعام،

لأنه يحتاج إلى ما لا يحتاج إليه غيره ، و يعملون له (وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ) لا تزول عن أماكنها من عظمها.

فلما ذكر منته عليهم، أمرهم بشكرها فقال: (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ) و هم داود و أولاده و أهله

لأن المنة على الجميع و كثير من هذه المصالح عائد لكلهم (شُكْرًا) لله على ما أعطاهم و مقابلة لما أولاهم.

(وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ) فأكثرهم لم يشكروا الله تعالى على ما أولاهم من نعمه و دفع عنهم من النقم.

و الشكر:

1-اعتراف القلب بمنة الله تعالى 2-و تلقيها افتقاراً إليها 3-و صرفها في طاعة الله تعالى

4-و صونها عن صرفها في المعصية 13

(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ) فلم يزل الشياطين يعملون لسليمان عليه الصلاة و السلام كل بناء،

و كانوا قد موهوا على الإنس، و أخبروهم أنهم يعلمون الغيب، و يطلعون على المكنونات،

فأراد الله تعالى أن يُرِيَ العباد كذبهم في هذه الدعوى فمكثوا يعملون على عملهم

و قضى الله الموت على سليمان ^{عليه السلام} (مَا دَلَّكُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ) الْأَرْضُ (تَأْكُلُ مِنْسَأَتَكُمْ)

فلقد أتكا على عصاه و هى المنسأة فصاروا إذا مروا به و هو متكئ عليها ظنوه حيا و هابوه.

فغدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما قيل حتى سُلِطَتْ دَابَّةُ الْأَرْضِ على عصاه فلم تنزل ترعاها حتى

بادت و سقطت و [ضَعُفَتْ] (فَلَمَّا خَرَّ) فسقط سليمان ^{عليه السلام} و تفرقت الشياطين

(تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) و هو العمل الشاق عليهم

فلو علموا الغيب، لعلموا موت سليمان، الذي هم أحرص شيء عليه، ليسلموا مما هم فيه

وَ عِلِمَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ مِدَّةٍ طَوِيلَةٍ-تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ وَ الْإِنْسُ أَيْضًا أَنَّ الْجِنَّ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ

كَمَا كَانُوا يَتَوَهَّمُونَ وَ يُوهَمُونَ النَّاسَ ذَلِكَ 14

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ^٤
 بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ
 أَكْثِلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿١٧﴾
 وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي
 وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ
 وَمَرَقَنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ فِي ذَلِكَ لَا يَتَخَذَ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ
 فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ
 مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ
 لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
 وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ) سبأ قبيلة معروفة في أداني اليمن و مسكنهم بلدة يقال لها «مأرب» (فِي مَسْكِنِهِمْ)

قصة سبأ و سيل العرم 21-15

محلهم الذي يسكنون فيه (آيَةٌ) و الآية هنا:-

1- ما أدر الله عليهم من النعم 2- و صرف عنهم من النقم [الذي يقتضي ذلك منهم أن يعبدوا الله و يشكروه]

ثم فسر الآية بقوله (جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ) مِنْ نَاحِيَّتِي الْجَبَلَيْنِ وَ الْبَلَدَةُ بَيْنَ ذَلِكَ
 (وَاشْكُرُوا لَهُ)

○ فأمروهم الله بشكر نعمه التي أدرها عليهم من وجوه كثيرة:-

1- هاتان الجنتان اللتان غالب أقواتهم منهما.

2- أن الله جعل بلدهم (بَلَدٌ طَيِّبٌ) لحسن هوائها و قلة و حمها و حصول الرزق الرغد فيها.

3- (وَرَبُّ غَفُورٌ) وعدهم الله- إن شكروه- أن يغفر لهم و يرحمهم

لهذا قال: (بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبُّ غَفُورٌ) لَكُمْ إِنْ اسْتَمَرَرْتُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ 15

4- أن الله لما علم احتياجهم في تجارتهم و مكاسبهم إلى الأرض المباركة (الشام)

هيا لهم من الأسباب ما به ييسر وصولهم إليها بغاية السهولة من:- 1- الأمن و عدم الخوف

2-و تواصل القرى بينهم وبينها بحيث لا يكون عليهم مشقة بحمل الزاد و المزداد.

و لهذا قال: - (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ)
أى: سيرا مقدرا يعرفونه و يحكمون عليه بحيث لا يتيهون عنه

(سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ)

مطمئنين في السير في تلك الليالي و الأيام غير خائفين. و هذا من تمام نعمة الله عليهم أن أمنهم من الخوف.

(فَأَعْرِضُوا) 1-عن المنعم و عن عبادته و عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ

2-و بطروا النعمة وَ شُكْرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ وَ عَدُّوا إِلَى عِبَادَةِ الشَّمْسِ كَمَا قَالَ هَذِهِ سُلَيْمَانُ:-

(فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا) حتى إنهم طلبوا و تمنوا أن تتباعد أسفارهم بين تلك القرى

(وَضَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) كفرهم بالله و بنعمته فعاقبهم الله تعالى بهذه النعمة التي أطغتهم فأبادها عليهم

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) الماء الغـ زير-خرب سدهم و أتلف جناتهم

*بَعَثَ عَلَى السَّدِّ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ يُقَالُ لَهَا: "الْجُرَذُ" نَقَبَتْهُ -

*قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: وَقَدْ كَانُوا يَجِدُونَ فِي كُتُبِهِمْ أَنَّ سَبَبَ خَرَابِ هَذَا السَّدِّ هُوَ الْجُرَذُ فَكَانُوا يَرِصُدُونَ عِنْدَهُ السَّنَانِيرَ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ فَلَمَّا جَاءَ الْقَدَرُ غَلَبَتِ الْفَأْرُ السَّنَانِيرَ وَ وَلَجَتْ إِلَى السَّدِّ فَنَقَبَتْهُ فَأَنْهَارَ عَلَيْهِمْ.

و لهذا قال: (وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ) شيء قليل من الأكل الذي لا يقع منهم موقعا

(خَمَطٍ) وَ هُوَ الْأَرَاكُ وَ أَكَلَتْهُ الْبَرِيرُ وَ هُوَ مَرٌّ بِشَع

(وَأَثَلٍ) هُوَ الطَّرْفَاءُ هُوَ السَّمُرُ لَا ثَمَرُ لَهُ (وَشَقِيحٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ) و قليل من شجر النَّبَقِ كثير الشوك 16

وَ ذَلِكَ بِسَبَبٍ :-

1- كَفَرِهِمْ وَ شَرَكِهِمْ بِاللَّهِ 2-وَ تَكْذِيبِهِمُ الْحَقَّ وَ عُدُولِهِمْ عَنْهُ إِلَى الْبَاطِلِ

و لهذا قال: (ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا) عاقبناهم بكفرهم.

○ و هذا كله شجر معروف و هذا من جنس عملهم.

فكما بدلوا الشكر الحسن بالكفر القبيح بدلوا تلك النعمة بما ذكر

(وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ)

و هل نجازي جزاء العقوبة - بدليل السياق -إلا من كفر بالله و بطر النعمة؟

(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا}

قُرًى الشَّامِ -بَيْتُ الْمَقْدِسِ.

{قُرًى ظَاهِرَةً} مُتَوَاصِلَةٌ-بَيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ يَعْرِفُهَا الْمُسَافِرُونَ-يَقِيلُونَ فِي وَاحِدَةٍ وَ يَبِيتُونَ فِي أُخْرَى

{وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ} جَعَلْنَاهَا بِحَسَبِ مَا يَحْتَاجُ الْمُسَافِرُونَ إِلَيْهِ

{سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ} الْأَمْنُ حَاصِلٌ لَهُمْ فِي سَيْرِهِمْ لَيْلًا وَنَهَارًا 18

{فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا} ربنا اجعل قُرانا متباعدة ليبعد سفرنا بينها فلا نجد قرى عامرة في طريقنا *حملهم بطر النعمة على أن سألوا ربهم بلسان حالهم وقالهم أن يباعد بين مسافات أسفارهم بإزالة تلك المدن حتى يحملوا الزاد و يركبوا الخيول و يذوقوا طعم التعب-هذا في الواقع هو حسد من الأغنياء للفقراء الذين لا طاقة لهم على السفر في المسافات البعيدة بدون زاد و لا رواحل ()

{وَوَلَّمُوا أَنْفُسَهُمْ} بِغُھْرِھُمْ (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) جعلهم الله أحاديث يتحدث بهم و أسمارا للناس

و كان يضرب بهم المثل فيقال: « تفرقوا أيدي سبأ » (I)-ذهبوا شذر مذر.

○ فكل أحد يتحدث بما جرى لهم-وَ كَيْفَ مَكَرَ اللَّهُ بِهِمْ

{وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ} وَ فَرَّقَ شَمْلَهُمْ بَعْدَ اجْتِمَاعِ وَ الْأُلْفَةِ وَ الْعَيْشِ الْهَنِيِّ تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ هَاهُنَا وَ هَاهُنَا فرقناهم في البلاد كل تفريق حيث لا يرجى لهم عود اتصال أبداً :-

1- فذهب الأوس و الخزرج إلى يثرب "المدينة النبوية" (الأنصار) 2- و ذهب غسان و جذام و لخم إلى الشام
3- و الأزد إلى عُمان 4- و خزاعة إلى تهامة

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ} على المكاره و الشدائد يتحملها لوجه الله و لا يتسخطها بل يصبر عليها.

{شَكُورٍ} لنعمة الله تعالى يُقَرُّ بها و يعترف و يشي على من أولاهها و يصرفها في طاعته 19

{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ} ثم ذكر أن قوم سبأ من الذين صدَّق عليهم

{إِبْلِيسَ ظَنَّهُ} حيث قال لربه: {فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ

و هذا ظن من إبليس لا يقين لأنه لا يعلم الغيب و لم يأتيه خبر من الله أنه سيغويهم أجمعين إلا من استثنى
فهؤلاء و أمثالهم ممن صدق عليه إبليس ظنه و دعاهم و أغواهم

{فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ممن لم يكفر بنعمة الله فإنه لم يدخل تحت ظن إبليس 20

و يحتمل أن قصة سبأ انتهت عند قوله: -{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}

ثم ابتداء فقال: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ} على جنس الناس فتكون الآية عامة في كل من اتبعه.

ثم قال تعالى: -{وَمَا كَانَ لَهُ} لإبليس {عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ} حجة-قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: -وَاللَّهُ مَا ضَرَبَهُمْ بَعْصًا وَ لَا أَكْرَهُهُمْ عَلَى شَيْءٍ وَ مَا كَانَ إِلَّا غُرُورًا وَ أَمَانِي دَعَاهُمْ إِلَيْهَا فَأَجَابُوهُ.

(إِنَّا لَنَعْلَمُ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ) أي: لـ -

1- يقوم سوق الامتحان 2- و يعلم به الصادق من الكاذب 3- و يعرف من كان إيمانه صحيحا
يثبت عند الامتحان و الاختبار و إلقاء الشبه الشيطانية ممن إيمانه غير ثابت ينزل بأدنى شبهة
و يزول بأقل داع يدعو إلى ضده

4- فالله تعالى جعله امتحانا يمتحن به عبادوه يظهر الخبيث من الطيب.

(وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) يحفظ العباد و يحفظ عليهم أعمالهم و يحفظ جزاءها فيوفيه إياها كاملة 21

شبه و مآل المشركين يوم القيامة 22-33

(قُلْ) يا أيها الرسول للمشركين بالله غيره من المخلوقات التي لا تنفع و لا تضر ملزما لهم بعجزها

و مبينا لهم بطلان عبادتها: - (ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ)

زعمتموهم شركاء لله إن كان دعاؤكم ينفع فـ (لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ)
على وجه الاستقلال و لا على وجه الاشتراك

(وَمَا لَهُمْ) لتلك الآلهة الذين زعمتم

(فِيهِمَا) في السماوات و الأرض

(مِنْ شِرْكٍ) لا شرك قليل و لا كثير

(وَمَا لَهُ) لله تعالى الواحد القهار (مِنْهُمْ) من هؤلاء المعبودين (مَنْ ظَهَرَ) معاون و وزير يساعده على الملك 22

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَهَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ ۖ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا يَدْرِي بَلَىٰ إِنْ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِّلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

فلم يبق إلا الشفاعة فنفاها بقوله: **(وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ)**

فهذه أنواع التعلقات التي يتعلق بها المشركون بأندادهم و أوثانهم، من: البشر و الشجر و غيرهم قطعها الله و بين بطلانها تبيننا حاسما لمواد الشرك قاطعا لأصوله

(حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) أولا: يحتمل أن الضمير في هذا الموضع يعود إلى المشركين:

لأنهم مذكورون في اللفظ و القاعدة في الضمائر أن تعود إلى أقرب مذكور

و يكون المعنى: إذا كان يوم القيامة، و فرع عن قلوب المشركين

أي: **زال الفرع** و سئلوا حين رجعت إليهم عقولهم عن حالهم في الدنيا و تكذيبهم للحق الذي جاءت به الرسل أنهم يقرون أن ما هم عليه من الكفر و الشرك باطل

(قَالُوا الْحَقُّ) و أن ما قال الله و أخبرت به عنه رسله هو الحق فبدا لهم ما كانوا يخفون من قبل

و علموا أن الحق لله و اعترفوا بذنوبهم

(وَهُوَ الْعَلِيُّ) بذاته فوق جميع مخلوقاته و قهره لهم و علو قدره بما له من الصفات العظيمة جليلة المقدار

(الْكَبِيرُ) في ذاته و صفاته.

و من علوه: أن حكمه تعالى يعلو و تدعن له النفوس حتى نفوس المتكبرين و المشركين.

و هذا المعنى أظهر و هو الذي يدل عليه السياق

ثانيا: و يحتمل أن الضمير يعود إلى الملائكة: -و ذلك أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي سمعته الملائكة

فصعقوا و خروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد
و إذا زال الصعق عن قلوب الملائكة و زال الفزع فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك الكلام الذي صعقوا منه:
ماذا قال ربكم؟

فيقول بعضهم لبعض: قال الحق، إما إجمالا لعلمهم أنه لا يقول إلا حقا و إما أن يقولوا: قال كذا و كذا
للكلام الذي سمعوه منه و ذلك من الحق. فيكون المعنى على هـ—ذا:-

أن المشركين الذين عبدوا مع الله تلك الآلهة التي وصفنا لكم عجزها و نقصها و عدم نفعها بوجه من الوجوه
كيف صدقوا و صرفوا عن إخلاص العبادة للرب العظيم العلي الكبير الذي -من عظمته و جلاله- أن الملائكة
الكرام و المقربين من الخلق يبلغ بهم الخضوع و الصعق عند سماع كلامه هذا المبلغ و يقرون كلهم لله أنه
لا يقول إلا الحق. فما بال هؤلاء المشركين استكبروا عن عبادة من هذا شأنه و عظمة ملكه و سلطانه فتعالى
العلي الكبير عن شرك المشركين و إفكهم و كذبهم.

البخاري 4800 - عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ:- إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ صَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا
خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقُّ، وَ هُوَ الْعَلِيُّ
الْكَبِيرُ فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرَقٌّ السَّمْعَ وَ مُسْتَرَقٌّ السَّمْعَ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَ وَصَفَ سُفْيَانٌ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا وَ بَدَّدَ بَيْنَ
أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ
فَرَجَمًا أَدْرَكَ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا وَ رَجَمًا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةً كَذِبَةً فَيَقَالُ:

أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَ كَذَا: كَذَا وَ كَذَا فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ " 23

○ يأمر تعالى نبيه محمدا ﷺ أن يقول لمن أشرك بالله و يسأله عن حجة شركه:-

(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) فإنهم لا بد أن يقولوا أنه الله، و لئن لم يقولوا ف—(قُلْ اللَّهُ)

فإنك لا تجد من يدفع هذا القول فإذا تبين أن الله وحده الذي يرزقكم من السماوات و الأرض
و ينزل لكم المطر و ينبت لكم النبات و يفجر لكم الأنهار و يطلع لكم من ثمار الأشجار و جعل لكم
الحيوانات جميعها لنفعكم و رزقكم فلم تعبدون معه من لا يرزقكم شيئا و لا يفيدكم نفعاً؟

(وَإِنَّا أَوْلِيَائُكُمْ لَمَّا هَدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)

هَذَا مِنْ بَابِ اللَّفِّ وَ النَّشْرِ (وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مُبْطِلٌ وَ الْآخَرُ مُحِقٌّ)

(أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) منعمرة فيه و هذا الكلام يقوله من تبين له الحق و اتضح له الصواب و جزم بالحق الذي

هو عليه و بطلان ما عليه خصمه 24

(قُلْ) لهم (لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْشَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) كل منا و منكم له عمله أنتم

(لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا) معناه التبرى منهم-عن إجرامنا و ذنوبنا لو أذنبنا (وَلَا تُنْشَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

و نحن لا نسأل عن أعمالكم فليكن المقصود منا و منكم طلب الحقائق و سلوك طريق الإنصاف 25

(قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا)

يحكم بيننا حكما يتبين به الصادق من الكاذب و المستحق للثواب من المستحق للعقاب

(ثُمَّ يَفْتَحْ) يقضي (بَيْنَنَا بِالْحَقِّ) بالعدل (وَهُوَ الْفَتَّاحُ) الحاكم بين خلقه الْعَادِلُ

(الْعَلِيمُ) الْعَالِمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ 26

(قُلْ) لهم يا أيها الرسول و من ناب منابك:-

(أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ) أي: أين هم؟ و أين السبيل إلى معرفتهم؟ و هل هم في الأرض أم في السماء؟

(شُرَكَاءُ) أَرُونِي هَذِهِ الْأِلَٰهَةِ الَّتِي جَعَلْتُمُوهَا لِلَّهِ أَنْدَادًا و صَيَّرْتُمُوهَا لَهُ عَدْلًا.

و هذا السؤال لا يمكنهم الإجابة عنه و لهذا قال:

(كَلَّا) ليس لله شريك و لا ند و لا ضد.

(بَلْ هُوَ اللَّهُ) الذي لا يستحق التأله و التعبد إلا هو

(الْعَزِيزُ) الذي قهر كل شيء فكل ما سواه

فهو مقهور مسخر مدبر. (الْحَكِيمُ) في أقواله و أفعاله و تدبير أمور خلقه 27

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ) يخبر تعالى أنه ما أرسل رسوله ﷺ

*البخاري 335 - قال النبي ﷺ..... وَ كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَ بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً "

إلا (بَشِيرًا) ليبشر جميع الناس بثواب الله و يخبرهم بالأعمال الموجبة لذلك -تُبَشِّرُ مَنْ أَطَاعَكَ بِالْجَنَّةِ

(وَنَذِيرًا) وَ تُنذِرُ مَنْ عَصَاكَ بِالنَّارِ- و ينذرهم عقاب الله- و يخبرهم بالأعمال الموجبة له

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) قَوْلُهُ {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} [يُوسُفَ: 103]

○ أي: ليس لهم علم صحيح بل إما جهال أو معاندون لم يعملوا بعلمهم فكأنهم لا علم لهم.

و من عدم علمهم:- جعلهم عدم الإجابة لما اقترحوه على الرسول موجبا لرد دعوته 28

فمما اقترحوه استعجالهم العذاب فقال:- (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) 29

(قُلْ) لهم-مخبرا بوقت وقوعه الذي لا شك فيه:- (لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَفْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ)

فاحذروا ذلك اليوم و أعدوا له عدته 30

رفض المشركين الايمان بالقرآن و حوار الضالين و المضلين يوم القيامة 31-33

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ) نصدِّق (بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ)

تَقَدَّمَ من التوراة و الإنجيل و الزبور فقد كذبوا بجميع كتب الله.

—لما ذكر تعالى أن ميعاد المستعجلين بالعذاب لا بد من وقوعه عند حلول أجله ذكر هنا حالهم في ذلك اليوم

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ) محبوسون

(عِنْدَ رَبِّهِمْ) للحساب لرأيت أمرا عظيما و هولا جسيما،

(يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ) كل يُلقي بالعتاب على الآخر لرأيت شيئا فظيحا

ف—(يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضِعِفُوا) وهم الأتباع

(لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) وهم القادة:—

(لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ)

و لكنكم خلُتم بيننا و بين الإيمان و زينتم لنا الكفر ان، فتبعناكم على ذلك و مقصودهم بذلك أن يكون

العذاب على الرؤساء دونهم 31

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَ كُرْبِلُ كُنْتُمْ تُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُمْ أَدَادًا وَسِرًّا ۖ أَلَدَّامَةُ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُمْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾

(قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا) مستفهمين لهم و مخبرين أن الجميع مشتركون في الجرم: -

(أَنَحْنُ صَدَدْنَكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَ كُرْبِلُ) (أى: بقوتنا و قهرنا لكم.

(بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمِينَ) مختارين للإجرام لستم مقهورين عليه و إن كنا قد زينا لكم فما كان لنا عليكم من سلطان 32

(وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)

بل تدبيركم الشر لنا في الليل و النهار هو الذي أوقعنا في التهلكة

(إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ) (إذ تحسنون لنا الكفر و تدعوننا إليه

(وَنَجْعَلَ لَهُمْ أَدَادًا) (نُظَرَاءَ وَ آلِهَةً مَعَهُ وَ تَقِيمُوا لَنَا شُبَهًا وَ أَشْيَاءَ مِنَ الْمُحَالِ تُضِلُّونَا بِهَا

(وَأَسْرُوا) و أسر كل من الفريقين (الندامة) الحسرة (لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ) حين رأوا العذاب الذي أعد لهم

(وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ) وَ هِيَ السَّلَاسِلُ الَّتِي تَجْمَعُ أَيْدِيهِمْ مَعَ آعْنَاقِهِمْ

(الَّذِينَ كَفَرُوا) يغفلون كما يغفل المسجون الذي سيهان في سجنه كما قال تعالى -

(هَلْ يُجْزَوْنَ) في هذا العذاب و النكال و تلك الأغلال الثقيل

(إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من الكفر و الفسوق و العصيان **33**

(وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ) يخبر تعالى عن حالة الأمم الماضية المكذبة للرسول أنها كحال هؤلاء الحاضرين المكذبين لرسولهم محمد ﷺ و أن الله إذا أرسل رسولا في قرية من القرى

(إِلَّا قَالَ مُتَرَفُّوهَا) وَ هُمْ أُولُو النَّعْمَةِ وَ الْحِشْمَةِ وَ الثَّرْوَةِ وَ الرِّيَاسَةِ الْمُنْعَمَسُونَ فِي اللذات و الشهوات

(إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) لَا نُؤْمِنُ بِهِ وَ لَا نَتَّبِعُهُ- كفر به مترفوها و أبطرتهم نعمتهم و فخروا بها **34**

(وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا) أي:- ممن اتبع الحق (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ) أي:- أولا لسنا بمبعوثين

فإن بعثنا فالذي أعطانا الأموال و الأولاد في الدنيا سيعطينا أكثر من ذلك في الآخرة و لا يعذبنا **35**

(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) فأجابهم الله تعالى بأن :-

بسط الرزق و تضيقه ليس دليلا على ما زعمتم- فإن الرزق تحت مشيئته إن شاء بسطه لعبده و إن شاء ضيقه.

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أن ذلك اختبار لعباده لأنهم لا يتأملون **36**

(وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا) و ليست الأموال و الأولاد بالتي تقرب إلى الله

(زُلْفَى) قربي- و تدني إليه

*مسلم:- (2564) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صَوْرِكُمْ وَ أَمْوَالِكُمْ، وَ لَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَ أَعْمَالِكُمْ»

(إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) و إنمــــا الذي يقرب منه زلفى:-

1-الإيمان بما جاء به المرسلون2-و العمل الصالح الذي هو من لوازم الإيمان

(فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا) فأولئك لهم الجزاء عند الله تعالى مضاعفا الحسنة بعشر أمثالها

إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة لا يعلمها إلا الله

(وَهُمْ فِي الْعَرْشَاتِ) أي: فى المنازل العاليات المرتفعات جدا -ساكنين فيها مطمئنين

(ءَامِنُونَ) من المكدرات و المنغصات لما هم فيه من اللذات و أنواع المشتبهات **37**

و (ءَامِنُونَ) من الخروج منها و الحزن فيها (وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ)

و أما الذين سعوا في آياتنا على وجه التعجيز لنا و لرسولنا و التكذيب

ف- (أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) جَمِيعُهُمْ مَجْزِيُونَ بِأَعْمَالِهِمْ فِيهَا بِحَسَبِهِمْ **38**

(قُلْ إِنَّ رَبِّي) ثم أعاد تعالى أنه (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ) ليرتب عليه قوله:

(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ) نفقة واجبة أو مستحبة على قريب أو جار أو مسكين أو يتيم أو غير ذلك

(فَهُوَ) تعالى (يُخْلِفُهُ) فهو يعوضه لكم في الدنيا بالبدل و في الآخرة بالثواب

* فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق بل وعد بالخلف للمنفق الذي ييسط الرزق لمن يشاء و يقدر

* البخارى: 4684 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: - قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْكَ

(وَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقَيْنِ)

فاطلبوا الرزق منه و اسعوا في الأسباب التي أمركم بها- أما خلق الرزق فهو لله وحده **39**

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءَ بِإِيَّائِكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾
 قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
 فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾
 وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَبِهَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ
 وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾
 وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةً
 أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْئِئًا وَفُرْدَىٰ ثُمَّ تَنْفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ
 عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾
 قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

الإيمان بالبعث 40-54

(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) أي: العابدين لغير الله و المعبودين من دونه من الملائكة.

(ثُمَّ يَقُولُ) الله (لِلْمَلَائِكَةِ) على وجه التوبيخ لمن عبدتهم (أَهْتُولَاءَ بِإِيَّائِكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ) فتبرأوا من عبادتهم 40

(قَالُوا سُبْحَانَكَ) أي: تنزيها لك و تقديسا أن يكون لك شريك أو ند (أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ)

نَحْنُ عِبِيدُكَ وَ نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ هَؤُلَاءِ - فنحن مفتقرون إلى ولايتك مضطرون إليها فكيف ندعو غيرنا إلى عبادتنا؟

(بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ) أي: الشياطين يأمرهم بعبادتنا أو عبادة غيرنا فيطيعونهم بذلك.

و طاعتهم هـى - عبادتهم لأن العبادة الطاعة كما قال تعالى مخاطبا لكل من اتخذ معه آلهة

(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)

(أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ) أى مصدقون للجن منقادون لهم لأن الإيمان هو التصديق الموجب للانقياد 41

○ فلما تبرأوا منهم قال تعالى مخاطبا لهم (فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا)

تقطعت بينكم الأسباب و انقطع بعضكم من بعض

(وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) المشركون بالكفر و المعاصي - بعد ما ندخلهم النار - (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ)

فاليوم عاينتموها و دخلتموها جزاء لتكذبيكم و عقوبة لما أحدثه ذلك التكذيب من عدم الهرب من أسبابه 42

(وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا يَنْتَحِرُ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُ ءَابَاءَكُمْ)

أى: هذا قصده حين يأمركم بالإخلاص لله لتركوا عوائد آبائكم الذين تعظمون و تمشون خلفهم، فردوا الحق بقول الضالين و لم يوردوا برهانا و لا شبهة فأى شبهة إذا أمرت الرسل بعض الضالين باتباع الحق فادَّعوا أن إخوانهم الذين على طريقتهم لم يزالوا عليه؟ و هذه السفاهة و رد الحق بأقوال الضالين إذا تأملت كل حق رد

فإذا هذا مآله لا يـرد إلا بأقوال الضالين من—

المشركين و الدهريين و الفلاسفة و الصابئين و الملحدين في دين الله المارقين فهم أسوة كل من رد الحق إلى يوم القيامة.

و لما احتجوا بفعل آبائهم و جعلوها دافعة لما جاءت به الرسل طعنوا بعد هذا بالحق

(وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرٍ) القرآن—أى: كذب افتراه هذا الرجل الذي جاء به.

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) ظاهر بين لكل أحد تكذيبا بالحق 43

(وَمَا ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا) حتى تكون عمدة لهم

(وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ)

حتى يكون عندهم من أقواله و أحواله ما يدفعون به ما جئتهم به فليس عندهم علم و لا أثارة من علم 44

○ ثم خوفهم ما فعل بالأمم المكذبين قبلهم فقال:—

(وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا) أى: ما بلغ هؤلاء المخاطبون (مَعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَهُمْ) أى من القُوَّة في الدنيا.

(فَكَذَّبُوا) أى: الأمم الذين من قبلهم (رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) فكيف كان نكالي و عقابي و انتصاري لرُسلي؟

أن منهم من أغرقه و منهم من أهلكه بالريح العقيم و بالصيحة و بالرجفة و بالخسف بالأرض و بإرسال

الحاصب من السماء

فاحذروا يا هؤلاء المكذبون أن تدوموا على التكذيب فيأخذكم كما أخذ من قبلكم و يصيبكم ما أصابه 45

(قُلْ) يا أيها الرسول لهؤلاء المكذبين المعاندين المتصددين لرد الحق و تكذيبه و القدح بمن جاء به:

(إِنَّمَا أَعِظُكُمْ) أمركم (بِوَاحِدَةٍ) أى: بخصلة واحدة أشير عليكم بها و أنصح لكم في سلوكها

و هي طريق نصف لست أدعوكم بها إلى اتباع قولى و لا إلى ترك قولكم من دون موجب لذلك

و هى (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خَالٍصٍ) (وَفَرَدَى) تَقُومُوا قِيَامًا خَالِصًا لِلَّهِ مِنْ غَيْرِ هَوَىٰ وَ لَا عَصِيَّةٍ

○ أى: تنهضوا بهمة و نشاط و قصد لاتباع الصواب و إخلاص لله مجتمعين و متباحثين في ذلك

و متناظرين و فرادى كل واحد يخاطب نفسه بذلك.

(ثُمَّ نَفَّكَرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ) فإذا قمتم لله مشى و فرادى استعملتم فكركم و أجلتموه

و تدبرتم أحوال رسولكم، هل هو مجنون فيه صفات المجانين من كلامه و هيئته و صفته؟

أم هو نبي صادق منذر لكم ما يضركم مما أمامكم من العذاب الشديد؟

(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)

ما هو ^{الله} إلا نذير لكم أمام عذاب شديد قد ينزل بكم و هو مشفق عليكم في ذلك خائف لا يريد له لكم.

*البخاري 4801- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّافَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «يَا صَبَاحَاهُ» فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ قَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّكُمْ أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟» قَالُوا: بَلَى قَالَ:

«فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ إِلَهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) 46

(قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ) على اتباعكم للحق (فَهُوَ لَكُمْ) أى: فأشهدكم أن ذلك الأجر -على التقدير- أنه لكم

(إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) إِنْهَا أَطْلُبُ ثَوَابَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) أى: محيط علمه بما أدعو إليه

فلو كنت كاذبا لأخذني بعقوبته و شهيد أيضا على أعمالكم سيحفظها عليكم ثم يجازيكم بها.

و لما بين البراهين الدالة على صحة الحق و بطلان الباطل أخبر تعالى أن هذه سنته و عادته أن يقذف

(بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) لأنه بين من الحق في هذا الموضع

و رد به أقوال المكذبين ما كان عبرة للمعتبرين و آية للمتأملين.

(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ) الباطل بحجج من الحق فيفضحه و يهلكه

(عَلَّمَ الْغُيُوبَ)

الذي يعلم ما تنطوي عليه القلوب من الوسوس و الشبه و يعلم ما يقابل ذلك و يدفعه من الحجج 48

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِجِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

35- سورة فاطر- مكية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتِلْكَ وَرُبِعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَىٰ تُؤَفَّكُونَ ﴿٣﴾

(قُلْ جَاءَ الْحَقُّ) ظهر و بان و صار كالشمس

(وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) فلم يبق للباطل شيء يبدؤه و يعيده - اضمحل و بطل أمره و ذهب سلطانه 49

(قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ) و لما تبين الحق بما دعا إليه الرسول و كان المكذبون له يرمونه بالضلال أخبرهم بالحق

و وضعه لهم و بين لهم عجزهم عن مقاومته و أخبرهم أن رميهم له بالضلال ليس بضائر الحق شيئاً

و لا دافع ما جاء به. و أنه إن ضل - و حاشاه من ذلك - لكن على سبيل التنزل في المجادلة -

(فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي) فإنما يضل على نفسه أى: - ضلاله قاصر على نفسه، غير متعد إلى غيره.

* هَوْلُهُ: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ} [الأنبياء: 18]

وَ لِهَذَا لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ لَمْ يَبْقَ لِلْبَاطِلِ مَقَالَةٌ وَ لَا رِيَاسَةٌ وَ لَا كَلِمَةٌ.

* البخاري 2478 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: - دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ () وَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَ سِتُونَ نَضْبًا فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَ جَعَلَ يَقُولُ: - {جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} [الإسراء: 81] " الْآيَةُ ()

يَوْمَ الْفَتْحِ

(نصبا) صنما وقيل كل حجر نصب و عبد أو عظم وقيل غير ذلك. (يطعنها) من الطعن

و هو الضرب و الوحز. (زهق) هلك و اضمحل. (الآية) الإسراء 81. و تتمتها {إن الباطل كان زهوقاً} هـ

(وَلَيْنِ اهْتَدَيْتَ) فليس ذلك من نفسي و حولي و قوتي (وَلَيْنِ اهْتَدَيْتَ) و إنما هدايتي (فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي)

فهو مادة هدايتي كما هو مادة هداية غيري - إن ربي (سَمِيعٌ) للأقوال و الأصوات كلها (قَرِيبٌ) ممن دعاه و سألَه و عبده.

* البخاري 4205 - عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشْرَفَ لِنَاسٍ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَ لَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَ هُوَ مَعَكُمْ» وَ أَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَنِي وَ أَنَا أَقُولُ:- لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ لِي: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَاكَ أَبِي وَ أُمِّي، قَالَ: «لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» (50)

(وَلَوْ تَرَى) أيها الرسول و من قام مقامك حال هؤلاء المكذبين (إِذْ فَرَعُوا) حين رأوا العذاب، و ما أخبرتهم به الرسل، و ما كذبوا به لرأيت أمرا هائلا و منظرا مفضعا و حالة منكرة و شدة شديدة و ذلك حين يحق عليهم العذاب. (فَلَا قُوَّةَ) فليس لهم عنه مهرب و لا فوت

(وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) ليس بعيدا عن محل العذاب بل يؤخذون، ثم يقذفون في النار. لَمْ يَكُونُوا يُنْعَوْنَ فِي الْهَرَبِ بَلْ أُخِذُوا مِنْ أَوَّلٍ وَهَلَّةٍ. أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ هُوَ الطَّامَّةُ الْعُظْمَى وَ إِنْ كَانَ مَا ذُكِرَ مُتَّصِلًا بِذَلِكَ 51

(وَقَالُوا) في تلك الحال: (ءَامَنَّا)

يَقُولُونَ: آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِكُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ صدقنا ما به كذبوا و ذلك يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ) تناول الإيمان- وَ قَدْ بَعُدُوا عَنْ مَحَلِّ قَبُولِهِ مِنْهُمْ { وَ صَارُوا إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ } وَ هِيَ دَارُ الْجَزَاءِ لَا دَارَ الْإِبْتِلَاءِ فَلَوْ كَانُوا آمَنُوا فِي الدُّنْيَا لَكَانَ ذَلِكَ نَافِعَهُمْ وَ لَكِنْ بَعْدَ مَصِيرِهِمْ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى قَبُولِ الْإِيمَانِ كَمَا لَا سَبِيلَ إِلَى حُصُولِ الشَّيْءِ لِمَنْ يَتَنَاوَلُهُ مِنْ بَعِيدٍ. (مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ) قد حيل بينهم و بينه و صار من الأمور المحالة في هذه الحالة فلو أنهم آمنوا وقت الإمكان لكان إيمانهم مقبولا 52

(وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِرُونَ) يرمون (بِالْغَيْبِ) بالظن * كقوله { رَجْمًا بِالْغَيْبِ } [الْكَهْفِ: 22] فَتَارَةً يَقُولُونَ: شَاعِرٌ. وَ تَارَةً يَقُولُونَ: كَاهِنٌ. وَ تَارَةً يَقُولُونَ: سَاحِرٌ. وَ تَارَةً يَقُولُونَ: مَجْنُونٌ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْبَاطِلَةِ، وَ يُكْذِّبُونَ بِالْغَيْبِ وَ النُّشُورِ وَ الْمَعَادِ وَ يَقُولُونَ: {إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ} *** قَالَ قَتَادَةُ: يَرْجُمُونَ بِالظَّنِّ، لَا بَعْثَ وَ لَا جَنَّةَ وَ لَا نَارَ.

(حول) قدرة على دقة التصرف في الأمور. (كنز من كنوز الجنة) أي أجرها مدخر لقائلها والمتصف بها كما يدخر الكنز وهو المال المجموع المحرز

(**مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ**) بقذفهم الباطل ليدحضوا به الحق- و لكن لا سبيل إلى ذلك، كما لا سبيل للرامي من مكان بعيد إلى إصابة الغرض(((عن إصابة الحق)))
فكذلك الباطل من المحال أن يغلب الحق أو يدفعه

و إنما يكون له صولة وقت غفلة الحق عنه فإذا برز الحق و قاوم الباطل قمعه **53**

(**وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ**) قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ :-يَعْنِي: الْإِيمَانُ- وَقَالَ السُّدِّي:-التَّوْبَةُ.

○ من الشهوات و اللذات و الأولاد و الأموال و الخدم و الجنود قد انفردوا بأعمالهم و جاءوا فرادى كما خلقوا و تركوا ما حولوا وراء ظهورهم

(**كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ**) من الأمم السابقين حين جاءهم الهلاك حيل بينهم و بين ما يشتهون،

(**إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ**) في الدنيا في شكٍّ من أمر الرسل و البعث و الحساب

(**مُرِيبٍ**) محدث الريبة و قلق القلب فلذلك، لم يؤمنوا،و لم يعتبوا حين استعتبوا **54**

35- تفسير سورة فاطر -مكية

*عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ حَتَّى أَتَانِي أَعْرَابِيَانِ يَخْتَصِمَانِ فِي بئرٍ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ:-أَنَا فَطَرْتُهَا أَنَا بَدَأْتُهَا
وَ قَالَ الضَّحَّاكُ:-كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فَهُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ.

الثناء على الله 4-1

(**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**)

○ يمدح الله تعالى نفسه الكريمة المقدسة، على خلقه السماوات و الأرض و ما اشتملتا عليه من المخلوقات لأن ذلك دليل على:- **كمال قدرته و سعة ملكه و عموم رحمته و بديع حكمته و إحاطة علمه**
و لما ذكر الخلق ذكر بعده ما يتضمن الأمر و هو

1- أنه (**جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا**) في تدبير أوامره القدرية -و وسائط بينه و بين خلقه، في تبليغ أوامره الدينية.

2- و في ذكره أنه جعل الملائكة رسلا و لم يستثن منهم أحدا دليل على كمال طاعتهم لربهم و انقيادهم لأمره
كما قال تعالى: (**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**)

○ و لما كانت الملائكة مدبرات بإذن الله ما جعلهم الله موكلين فيه ذكر قوتهم على ذلك و سرعة سيرهم بأن جعلهم (**أُولَى أَجْنَحَةٍ**) تطير بها، فتسرع بتنفيذ ما أمرت به

(**مَشْفَى وَثَلَاثَ وَرُبْعَ**) منهم من له جناحان و ثلاثة و أربعة، بحسب ما اقتضته حكمته-
وَ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ:-

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى جَبْرِيلَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَ لَهُ سِتْمِائَةُ جَنَاحٍ، بَيْنَ كُلِّ جَنَاحَيْنِ كَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ

*البخارى 3232- عن أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ زُرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِهِ {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم: 10] قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ «رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتْمَائَةٌ جَنَاحٍ»

وَلِهَذَا قَالَ: {يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} يَزِيدُ فِي الْأَجْنَحَةِ وَخَلْقِهِمْ مَا يَشَاءُ-يزيد بعض مخلوقاته على بعض في صفة خلقها و في القوة و في الحسن و في زيادة الأعضاء المعهودة و في حسن الأصوات و لذة النعمات.

(إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

فقدرته تعالى تأتي على ما يشاؤه و لا يستعصي عليها شيء و من ذلك زيادة مخلوقاته بعضها على بعض 1 ثم ذكر انفراده تعالى بالتدبير و العطاء و المنع

فقال:- (مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا) من رحمته عنهم

(وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ)

فهذا يوجب التعلق بالله و الافتقار إليه من جميع الوجوه و أن لا يدعى إلا هو و لا يخاف و يرجى إلا هو.

(وَهُوَ الْعَزِيزُ) الذي قهر الأشياء كلها (الْحَكِيمُ) الذي يضع الأشياء مواضعها و ينزلها منازلها.

* وَ هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ} [يونس: 107] 2

(يَتَأْتِيَ النَّاسَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) يأمر تعالى، جميع الناس أن يذكروا نعمته عليهم،

و هذا شامل لذكرها :- 1- بالقلب اعترافا و باللسان ثناء و بالجوارح انقيادا- فإن ذكر نعمه تعالى داع لشكره

* ثم نبههم على أصول النعم و هي الخلق و الرزق فقال: (هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) و لما كان من المعلوم أنه ليس أحد يخلق و يرزق إلا الله نتج من ذلك أن كان ذلك دليلا على ألوهيته و عبوديته

و لهذا قال: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفٍ تُؤْفَكُونَ) تصرفون عن عبادة الخالق الرازق لعبادة المخلوق المرزوق.

فَكَيْفَ تُوْفَّقُونَ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ، وَ وُضُوحِ هَذَا الْبُرْهَانِ وَ أَنْتُمْ بَعْدَ هَذَا تَعْبُدُونَ الْأَنْدَادَ وَ الْأَوْثَانَ؟ 3

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ إِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِّنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا تَحْمِلُ مَن أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يُعَمِّرُ مَن مَّعْمَرٍ وَلَا يُنْقِصُ مَن عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

(وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ) يا أيها الرسول فلك أسوة بمن قبلك من المرسلين (فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ) فأهلك المكذبون و نجى الله الرسل و أتباعهم.

التحذير من الدنيا و الشيطان 8-5

(وَالَى اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورُ) وَ سَنَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ 4

(يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث و الجزاء على الأعمال (حَقٌّ) لا شك فيه و لا مرية و لا تردد

○ قد دلت على ذلك الأدلة السمعية و البراهين العقلية فإذا كان وعده حقا:-

فتهيئوا له و بادروا أوقاتكم الشريفة بالأعمال الصالحة و لا يقطعكم عن ذلك قاطع

(فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) بلذاتها و شهواتها و مطالبها النفسية فتلهيكم عما خلقتم له

(وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ) الذي هو الشيطان 5

(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ) الذي هو عدوكم في الحقيقة

(فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) لتكن منكم عداوته على بال و لا تهملوا محاربتة كل وقت فإنه يراكم و أنتم لا ترونه و هو دائما

لكم بالمرصاد. (إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِّنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)

هذا غايته ممن تبعه أن يهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد 6

ثم ذكر أن الناس انقسموا بحسب طاعة الشيطان و عدمها إلى قسمين: - ذكر جزاء كل منهما

أولاً: - فقال: (**الَّذِينَ كَفَرُوا**) : - أي جحدوا ما جاءت به الرسل و دلت عليه الكتب

(**لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**) في نار جهنم شديد في ذاته و وصفه و أنهم خالدون فيها أبداً.

ثانياً: - (**وَالَّذِينَ آمَنُوا**) : - بقلوبهم بما دعا الله إلى الإيمان به (**وَعَمِلُوا**) بمقتضى ذلك الإيمان بجوارحهم الأعمال

(**الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ**) لذنوبهم يزول بها عنهم الشر و المكروه (**وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**) يحصل به المطلوب 7

(**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ**) عمله السرىء القبيح زين له الشيطان و حسنه في عينه (**فَرَأَاهُ حَسَنًا**) كمن هداه الله إلى الصراط

المستقيم و الدين القويم فهل يستوي هذا و هذا؟ ...

*** أَفَمَنْ كَانَ هَكَذَا قَدْ أَضَلَّهُ اللَّهُ أَلَمْ يَكُنْ فِيهِ حِيلَةٌ؟ لَا حِيلَةَ لَكَ فِيهِ

فالأول: - عمل السيئ و رأى الحق باطلا و الباطل حقاً.

و الثاني: - عمل الحسن و رأى الحق حقاً و الباطل باطلا و لكن الهداية و الإضلال بيد الله تعالى

(**فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ**) على الضالين الذين زين لهم سوء أعمالهم

و صدهم الشيطان عن الحق (**حَسْرَتٌ**) لَا تَأْسَفُ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ فِي قَدَرِهِ إِنَّمَا يُضِلُّ مَنْ يُضِلُّ وَ يَهْدِي مَنْ يَهْدِي لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ وَ الْعِلْمِ التَّامِّ - لا تهلك نفسك بالتحسر عليهم لكفرهم.

○ فليس عليك إلا البلاغ و ليس عليك من هداهم شيء

(**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**) و الله هو الذي يجازيهم بأعمالهم. (**وَاللَّهُ الَّذِي**)

اثبات البعث و الحساب 9-10

يخبر تعالى عن كمال اقتداره و سعة جوده و أنه (**أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَحَابًا**) تزعجه و تحركه بشدة فيجتمع و

يسير. (**فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ**) فأنزله الله عليها (**فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**) فحييت البلاد و العباد و ارتزقت

الحيوانات و رعت في تلك الخيرات - كثيراً مَا يَسْتَدِلُّ تَعَالَى عَلَى الْمَعَادِ بِأَحْيَائِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا -

كَمَا فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْحَجِّ - يُنَبِّهُ عِبَادَهُ أَنْ يَعْتَبِرُوا بِهِذَا عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ الْأَرْضَ تَكُونُ مَيِّتَةً هَامِدَةً لَا نَبَاتَ فِيهَا فَإِذَا أُرْسِلَ إِلَيْهَا السَّحَابُ تَحْمِلُ الْمَاءَ وَ أَنْزَلَهُ عَلَيْهَا { **اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** } [الحج: 5]

لهذا قال الله تعالى: - (**كَذَلِكَ**) الذي أحيا الأرض بعد موتها - كَذَلِكَ الْأَجْسَادُ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَعْثَهَا وَ

نَشُورَهَا

أَنْزَلَ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مَطَرًا يَغْمُ الْأَرْضَ جَمِيعًا فَتَنْبُتُ الْأَجْسَادُ فِي قُبُورِهَا كَمَا يَنْبُتُ الْحَبُّ فِي الْأَرْضِ وَ لِهَذَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: -

البخارى: - 4935- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

« مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ » قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَيْبَتْ قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَيْبَتْ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟

قَالَ: أَبَيْتُ قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ يَسَّرَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبُلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ وَ مِنْهُ يُرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

(النُّشُورُ) ينشر الله الأموات من قبورهم بعدما مزقهم البلى فيسوق إليهم مطرا كما ساقه إلى الأرض الميتة فينزله عليهم فتحيا الأجساد و الأرواح من القبور و يأتون للقيام بين يدي الله ليحكم بينهم و يفصل بحكمه العدل.

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) يا من يريد العزة اطلبها ممن هي بيده فإن العزة بيد الله

و لا تنال إلا بطاعته و قد ذكرها بقوله: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ)

من قراءة و تسبيح و تحميد و تهليل و كل كلام حسن طيب فيرفع إلى الله و يعرض عليه و يشي الله على صاحبه بين الملاء الأعلى

(وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ) من أعمال القلوب و أعمال الجوارح

(يَرْفَعُهُ) الله تعالى إليه أيضا كالكلم الطيب.

و قيل: و العمل الصالح يرفع الكلم الطيب فيكون رفع الكلم الطيب بحسب أعمال العبد الصالحة فهي التي ترفع كلمه الطيب فإذا لم يكن له عمل صالح لم يرفع له قول إلى الله تعالى فهذه الأعمال التي ترفع إلى الله تعالى و يرفع الله صاحبها و يعزه.

(وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)

○ و أما السيئات فإنها بالعكس - يريد صاحبها الرفعة بهاو يمكر و يكيد و يعود ذلك عليه و لا يزداد إلا إهانة و نزولا - هم المراءون بأعمالهم- يَعْرِى: يَمْكُرُونَ بِالنَّاسِ يُوهِمُونَ أَنَّهُمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَ هُمْ بُغْضَاءُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ يَرَاوُونَ بِأَعْمَالِهِمْ {وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: 142] . -يعملونها و يكسبونها.

و لهذا قال: (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) يهانون فيه غاية الإهانة.

(وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ) يهلك و يضمحل و لا يفيدهم شيئا لأنه مكر بالباطل لأجل الباطل.

***يَفْسَدُ وَ يَبْطُلُ وَ يَظْهَرُ زَيْفُهُمْ عَنْ قَرِيبٍ لِأُولِي الْبَصَائِرِ وَ النَّهْيِ

فَإِنَّهُ مَا أَسَرَ عَبْدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَبْدَاهَا اللَّهُ عَلَى صَفَحَاتٍ وَجْهِهِ وَ فَلَتَاتِ لِسَانِهِ

وَ مَا أَسَرَ أَحَدٌ سَرِيرَةً إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ رِدَاءَهَا إِنَّ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَ إِنَّ شَرًّا فَشَرٌّ. فَالْمُرَائِي لَا يَرُوجُ أَمْرُهُ وَ يَسْتَمِرُّ إِلَّا عَلَى غَيْبٍ أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَفَرِّسُونَ فَلَا يَرُوجُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بَلْ يُكْشَفُ لَهُمْ عَنْ قَرِيبٍ وَ عَالَمُ الْغَيْبِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ)

يذكر تعالى خلقه الآدمي و تنقله في هذه الأطوار من تراب إلى نطفة و ما بعدها-من ماء الرجل و ماء المرأة و

ذلك كل ذرية آدم (ثُمَّ جَعَلَكُمْ) لم يزل ينقلكم طورا بعد طور حتى أوصلكم إلى أن كنتم (أَزْوَاجًا)

ذكرا يتزوج أنثى و يــــراد بالــــزواج-الذرية و الأولاد

فهو و إن كان النكاح من الأسباب فيه فإنه مقترن بقضاء الله و قدره و علمه (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى)

ما تحمل من جنين (وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) ولا تضعه إلا بإذنه.

○ و كذلك أطوار الآدمي كلها بعلمه و قضائه-بَلْ

{مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام: 59]

وَ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أَنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ

بِمِقْدَارٍ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} [الرعد: 8- 9] (3)

(وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ شَيْءٍ) عمر الذي كان معمرا عمرا طويلا- مَا يُعْطَى بَعْضُ النُّطْفِ مِنَ الْعُمْرِ الطَّوِيلِ يَعْلَمُهُ وَ هُوَ عِنْدَهُ فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ

{وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ} الضمير عائِدٌ عَلَى الْجِنْسِ لَا عَلَى الْعَيْنِ؛

لأنَّ الْعَيْنَ الطَّوِيلَ لِلْعُمْرِ فِي الْكِتَابِ وَ فِي عِلْمِ اللَّهِ لَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ وَ إِنَّمَا عَادَ الضَّمِيرُ عَلَى الْجِنْسِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَ هَذَا كَقَوْلِهِمْ: "عِنْدِي ثَوْبٌ وَ نِصْفُهُ" أَيْ: وَ نِصْفٌ آخَرُ.

-البخاري 2067- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» ()

بر الوالدين والأعمال الصالحة من أعظم القربات

و البر من أسباب طول العمر و البركة في العمر الرابط

كما في الحديث: (لا يزيد في العمر إلا البر) .

فالبر من أسباب طول العمر وبركته

و في الحديث الصحيح:

(من أحب أن يبسط له في رزقه و أن ينسأ له في أجله فليصل رحمه).

و بر الوالدين من أعظم صلة الرحم أعظم صلة الرحم

فبر الوالدين و صلة الرحم من أسباب طول العمر و البركة في العمر.

(إِلَّا) بعلمه تعالى-أو ما ينقص من عمر الإنسان الذي هو بصدد أن يصل إليه

لولا ما سلكه من أسباب قصر العمر كـــــــ:

الزنا و عقوق الوالدين و قطيعة الأرحام

و نحو ذلك مما ذكر أنها من أسباب قصر العمر .

و المعنى :-

أن طول العمر و قصره بسبب و بغير سبب كله بعلمه تعالى و قد أثبت ذلك (في كِتَابٍ) حوى ما يجري على العبد في جميع أوقاته و أيام حياته .

(إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) إحاطة علمه بتلك المعلومات الكثيرة و إحاطة كتابه فيها فهذه ثلاثة أدلة من أدلة البعث و النشور كلها عقلية نبه الله عليها في هذه الآيات :-

1- إحياء الأرض بعد موتها و أن الذي أحيها سيحيي الموتى و تنقل الآدمي في تلك الأطوار . فالذي أوجده و نقله طبقا بعد طبق و حالا بعد حالحتى بلغ ما قدر له فهو على إعادته و إنشائه النشأة الأخرى أقدر و هو أهون عليه

2- و إحاطة علمه بجميع أجزاء العالم العلوي و السفلي دقيقها و جليلها الذي في القلوب و الأجنة التى فى البطون و زيادة الأعمار و نقصها و إثبات ذلك كله في كتاب . فالذي كان هذا نعته يسيرا عليه فإعادته للأموات أيسر و أيسر . فتبارك من كثر خيره و نبه عباده على ما فيه صلاحهم فى معاشهم و معادهم .

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاقِرَ لَتَبْنَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾
يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى
ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾
إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ
وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾
إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمِنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

(وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ) شديد العذوبة (سَائِغٌ شَرَابُهُ) سهلٌ مروره في الحلق يزيل العطش
(وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) و هذا ملح شديد الملوحة (وَمِنْ كُلِّ) من البحر الملح و العذب (تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا)
و هو السمك المتيسر صيده في البحر (وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا)
من لؤلؤ و مرجان و غيرهما، مما يوجد في البحر فهذه مصالح عظيمة للعباد.

(وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاقِرَ)

تَمْخَرُهُ وَ تَشْقُهُ بِحَيْرُومِهَا وَ هُوَ مُقَدَّمُهَا الْمُسْتَمَّ الَّذِي يُشَبِّهُ جَوْجُوَ الطَّيْرِ - وَ هُوَ: صَدْرُهُ
(لَتَبْنَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) فتسلك من إقليم إلى إقليم آخر فتحمل السائرين و أثقالهم و تجارتهم
فيحصل بذلك من فضل الله و إحسانه شيء كثير

(وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) رَبُّكُمْ عَلَى تَسْخِيرِهِ لَكُمْ هَذَا الْخَلْقَ الْعَظِيمَ وَ هُوَ الْبَحْرُ تَتَصَرَّفُونَ فِيهِ كَيْفَ شِئْتُمْ
وَ تَذْهَبُونَ أَيْنَ أَرَدْتُمْ وَ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنْهُ
بَلْ بِقُدْرَتِهِ قَدْ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ الْجَمِيعُ مِنْ فَضْلِهِ وَ مِنْ رَحْمَتِهِ 12

(يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) و من ذلك أيضا إيلاجه تعالى الليل بالنهار و النهار بالليل،
يدخل هذا على هذا و هذا على هذا - كلما أتى أحدهما ذهب الآخر و يزيد أحدهما و ينقص الآخر و يتساويان
فيقوم بذلك ما يقوم من مصالح العباد في أبدانهم و حيواناتهم و أشجارهم و زروعهم.

(وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) وكذلك ما جعل الله في تسخير الشمس والقمر، الضياء والنور والحركة والسكون وانتشار العباد في طلب فضله ما فيهما من تنضيج الثمار وتجفيف ما يجفف وغير ذلك مما هو من الضروريات، التي لو فقدت للحق الناس الضرر.

(كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) كل من الشمس والقمر يسيران في فلكهما ما شاء الله أن يسيرا فإذا جاء الأجل وقرب انقضاء الدنيا انقطع سيرهما وتعطل سلطانهما وخسف القمر وكورت الشمس وانتشرت النجوم. فلما بين تعالى ما بين من هذه المخلوقات العظيمة وما فيها من العبر الدالة على كماله وإحسانه قال: (ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ)

الذي انفرد بخلق هذه المذكورات و تسخيرها هو الرب المألوه المعبود الذي له الملك كله.

(وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) من الأوثان والأصنام

(مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) اللِّفَافَةُ الَّتِي تَكُونُ عَلَى نَوَاةِ الثَّمَرَةِ 13

(إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ) لا يسمعونكم لأنهم ما بين جماد وأموات وملائكة [مشغولين بطاعة ربهم]

(وَلَوْ سَمِعُوا) على وجه الفرض والتقدير

(مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) لأنهم لا يملكون شيئا ولا يرضى أكثرهم بعبادة من عبده

(وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ) يتبرأون منكم ويقولون (سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ)

(وَلَا) أحد (نَبِيَّتِكَ) بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَمَالِهَا وَ مَا تَصِيرُ إِلَيْهِ (مَثَلُ خَيْرٍ) أصدق من الله العليم الخبير

قَالَ قَتَادَةُ: -يَعْنِي نَفْسَهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ بِالْوَاقِعِ لَا مَحَالَةَ.

○ فاجزم بأن هذا الأمر الذي نبأ به كأنه رأي عين فلا تشك فيه ولا تمتز.

فتضمنت هذه الآيات:- الأدلة والبراهين الساطعة الدالة على أنه تعالى المألوه المعبود الذي لا يستحق شيئا

من العبادة سواء وأن عبادة ما سواه باطلة متعلقة بباطل لا تفيد عابده شيئا 14

(يَتَأْتِيَ النَّاسَ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ) يخاطب تعالى جميع الناس ويخبرهم بحالهم و وصفهم

و أنهم فقراء إلى الله من جميع الوجوه

قدرة الله و غناه و فقر الانسان 15-18

1-فقراء في إيجادهم فلولا إيجادهم إياهم لم يوجدوا.

2-فقراء في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح التي لولا إعدادهم إياهم بها لما استعدوا لأي عمل كان.

3-فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة،

فلولا فضله وإحسانه وتيسيره الأُمُور:- لما حصل لهم من الرزق والنعم شيء.

4-فقراء في صرف النقم عنهم و دفع المكاره و إزالة الكروب و الشدائد.

فلولا دفعه عنهم، و تفرجه لكرباتهم و إزالته لعسرهم:- لاستمرت عليهم المكاره و الشدائد.

5-فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية و أجناس التدبير.

6-فقراء إليه في تألههم له و حبهم له و تعبدهم و إخلاص العبادة له تعالى

فلو لم يوفقهم لذلك:- لهلكوا و فسدت أرواحهم و قلوبهم و أحوالهم.

7-فقراء إليه في تعليمهم ما لا يعلمون، و عملهم بما يصلحهم

فلولا تعليمه:- لم يتعلموا و لولا توفيقه:- لم يصلحوا.

(((فهم فقراء بالذات إليه، بكل معنى و بكل اعتبار))) سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا

○ و لكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه و دنياه، و يتضرع له،

و يسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين و أن يعينه على جميع أموره و يستصحب هذا المعنى في كل وقت، فهذا أخرى بالإعانة التامة من ربه و إلهه الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها.

(وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) الذي له الغنى التام من جميع الوجوه فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلقه و لا يفتقر إلى شيء مما يفتقر إليه الخلق و ذلك لكمال صفاته و كونها كلها صفات كمال و نعوت و جلال.

○ و من غناه تعالي:- أن أغنى الخلق في الدنيا و الآخرة (الْحَمِيدُ)

في ذاتيه و أسمائه:- لأنها حسنى

و أوصافه:- لكونها عليها،

و أفعاله:- لأنها فضل و إحسان و عدل و حكمه و رحمة،

و في أوامره و نواهيه:- فهو الحميد على ما فيه، و على ما منه-و هو الحميد في غناه الغني في حمده **15**

(إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ)

أولاً:- يحتمل أن المراد: إن يشأ يذهبكم أيها الناس و يأت بغيركم من الناس أطوع لله منكم و يكون في هذا تهديد لهم بالهلاك و الإبادة و أن مشيئته غير قاصرة عن ذلك.

ثانياً:- و يحتمل أن المراد بذلك، إثبات البعث و النشور و أن مشيئة الله تعالى نافذة في كل شيء،

و في إعادتكم بعد موتكم خلقاً جديداً و لكن لذلك الوقت أجل قدره الله، لا يتقدم عنه و لا يتأخر **16**

(وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) بممتنع و لا معجز له **17**

و يدل على المعنى الأخير، ما ذكره بعده في قوله:

(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) ففي يوم القيامة كل أحد يجازى بعمله، و لا يحمل أحد ذنب أحد.

(وَأِنْ تَدْعُ) نفس (مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا) مثقلة بالخطايا و الذنوب، تستغيث بمن يحمل عنها بعض أوزارها
إِلَىٰ أَنْ تُسَاعِدَ عَلَىٰ حَمْلِ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْأَوْزَارِ أَوْ بَعْضِهِ،

(لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) فإنه لا يحمل عن قريب فليست حال الآخرة بمنزلة حال الدنيا يساعد
الحميم حميمه و الصديق صديقه

بل يوم القيامة يتمنى العبد أن يكون له حق على أحد و لو على والديه و أقاربه.

(إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) هؤلاء الذين يقبلون النذارة و ينتفعون بها أهل الخشية لله

(بِالْغَيْبِ) الذين يخشونه في حال السر و العلانية و المشهد و المغيب

(وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) و أهل إقامة الصلاة بحدودها و شروطها و أركانها و واجباتها و خشوعها

لأن الخشية لله تستدعى من العبد:- 1- العمل بما يخشى من تضييعه العقاب 2- و الهرب مما يخشى من ارتكابه العذاب و الصلاة تدعو إلى الخير، و تنهى عن الفحشاء و المنكر.

(وَمَنْ تَزَكَّى) و من تطهر من الشرك و غيره من المعاصي (فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى) يتطهر (لِنَفْسِهِ) (

-و من زكى نفسه بالتنقى من العيوب:- كالرياء و الكبر و الكذب و الغش و المكر و الخداع و النفاق....

و تحلى بالأخلاق الجميلة من:- الصدق و الإخلاص و التواضع و لين الجانب و النصح للعباد

و سلامة الصدر من:- الحقد و الحسد و غيرهما من مساوئ الأخلاق

○ فإن تزكيته يعود نفعها إليه و يصل مقصودها إليه ليس يضيع من عمله شيء.

(وَأِلَىٰ اللَّهِ الْمَصِيرُ)

فيجازي الخلائق على ما أسلفوهو يحاسبهم على ما قدموه و عملوه و لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها 18

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾
وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾
إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾
ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ
﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾
لِيُؤْفِقَهُمُ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

يخبر تعالى أنه لا يتساوى الأضداد في حكمة الله و فيما أودعه في فطر عباده.

ضرب الامثال 19-22

(وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) ﴿١٩﴾ (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ) ﴿٢٢﴾ فكما أنه من المقرر عنكم الذي لا يقبل الشك أن هذه المذكورات لا تتساوى
فكذلك فلتعلموا أن عدم تساوي المتضادات المعنوية أولى و أولى.

فلا يستوي المؤمن و الكافر و لا المهتدي و الضال و لا العالم و الجاهل و لا أصحاب الجنة و أصحاب النار
و لا أحياء القلوب و أمواتها

فَالْمُؤْمِنُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ فِي نُورٍ يَمْشِي، عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ حَتَّى يَسْتَقَرَّ بِهِ الْحَالُ فِي الْجَنَّاتِ
ذَاتِ الظَّلَالِ وَ الْعُيُونِ-
وَ الْكَافِرُ أَعْمَى أَصَمٌّ فِي ظُلُمَاتٍ يَمْشِي، لَا خُرُوجَ لَهُ مِنْهَا بَلْ هُوَ يَتِيهٌ فِي غَيْهِ وَ ضَلَالِهِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ حَتَّى
يُفْضِي بِهِ ذَلِكَ إِلَى الْحَرُورِ وَ السَّمُومِ وَ الْحَمِيمِ

(إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ) ﴿٢٢﴾ سماع فهم و قبول لأنه تعالى هو الهادي الموفق (وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ)

أموات القلوب أو كما أن دعاءك لا يفيد سكان القبور شيئاً كذلك لا يفيد المعرض المعاند شيئاً 22

(إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ) و لكن وظيفتك النذارة و إبلاغ ما أرسلت به قُبَل منك أم لا ﴿٢٣﴾

1-فترة من الرسل 2-و طموس من السبل 3-و اندراس من العلم 4-و ضرورة عظيمة إلى بعثك

(بَشِيرًا) لمن أطاعك بثواب الله العاجل و الآجل (وَنَذِيرًا) لمن عصاك بعقاب الله العاجل و الآجل

(وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ) من الأمم الماضية و القرون الخالية (إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) يقيم عليهم حجة الله 24

(وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ) و إن يكذبك أيها الرسول هؤلاء المشركون فلست أول رسول كذب

(فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) الدالات على الحق و على صدقهم فيما أخبروهم به

(وَيَا نَذِيرٍ) الكتب المكتوبة المجموع فيها كثير من الأحكام

(وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) المضيء في أخباره الصادقة و أحكامه العادلة 25

فلم يكن تكذيبهم إياهم ناشئا عن: -1- اشتباهه -2- أو قصوره بما جاءتهم به الرسل

بل :- بسبب ظلمهم و عنادهم

(ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بأنواع العقوبات

(فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرٍ) فانظر كيف كان إنكارى لعملهم و حلول عقوبتي بهم؟

○ كان أشد النكير و أعظم التنكيل فإياكم و تكذيب هذا الرسول الكريم فيصيبكم كما أصاب أولئك من

تنوع الخلق و وحدة الخالق 27-28

العذاب الأليم و الخزي الوخيم 26

(أَلَمْ تَرَ) يذكر تعالى خلقه للأشياء المتضادات التي أصلها واحد و مادتها واحدة و فيها من التفاوت و الفرق

ما هو مشاهد معروف ليدل العباد على كمال قدرته و بديع حكمته.

-فمن ذلك: (أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا)

فأخرج به من الثمرات المختلفة و النباتات المتنوعات ما هو مشاهد للناظرين و الماء واحد و الأرض واحدة.

-يَقُولُ تَعَالَى مُنَبِّهَا عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ فِي خَلْقِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَنَوِّعَةِ الْمُخْتَلِفَةِ مِنَ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ وَ هُوَ الْمَاءُ الَّذِي

يُنْزِلُهُ مِنَ السَّمَاءِ يُخْرِجُ بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا مِنْ أَصْفَرٍ وَ أَحْمَرَ وَ أَخْضَرَ وَ أَبْيَضَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَلْوَانِ

الثَّمَارِ كَمَا هُوَ الْمُشَاهَدُ مِنْ تَنَوُّعِ أَلْوَانِهَا وَ طَعُومِهَا وَ رَوَائِحِهَا

كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: {وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ

صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِصِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [الرَّعْدِ: 4] .

(وَمِنْ ذَلِكَ) - (الْجِبَالِ) التي جعلها الله أوتادا للأرض تجدها جبلا مشبكة بل جبلا واحدا و فيها ألوان متعددة

فيها (جُدَدٌ بَيَضٌ) طرائق بيض و فيها طرائق صفر- و في بعضها طرائق - و هـ ي: الجُدَد جَمْعُ جُدَّة-

(مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا) مُخْتَلِفَةٌ الْأَلْوَانِ أَيْضًا وَ فِيهَا (وَعَرَكِيْبٌ سُودٌ) شديدة السواد جدا

النظرة العلمية: ليس الاعجاز العلمى في هذه الآية هو التنويه فقط بما للجبال من ألوان مختلفة ترجع إلى اختلاف المواد التى تكون صخورها من **حديد** يجعل لونها السائد **أحمر** أو **منجنيزا** و **فحم** يجعله أسود أو **نحاس** يجعله أصفر و غير ذلك **حجارة كلسية** تعكس اللون الأبيض و لكن الاعجاز هو:-

الربط بين إخراج ثمرات مختلفات الالوان يروى شجرها ماء واحد و خلق جبال حمر و بيض و سود يرجع أصلها إلى مادة واحدة متجانسة التركيب أصلها من باطن الارض و يسميها علماء الجيولوجيا **بالصهارة** و هذه الصهارة عندما تنبثق في أماكن مختلفة من الارض و على أعماق مختلفة من السطح يعترى تركيبها الاختلاف فتتصلب آخر الامر في كتل أو جبال مختلفات المادة و اللون و هكذا فسنة الله واحدة لان الاصل واحد و الفروع مختلفة و متباينة و في هذا متاع و فائدة لبنى آدم **27**

(وَمِنْ ذَلِكَ) (النَّاسِ) فيها من اختلاف الألوان و الأوصاف و الأصوات و الهيئات ما هو مرئي بالأبصار مشهود للنظار و الكل من أصل واحد و مادة واحدة.

فتفاوتها دليل عقلي على مشيئة الله تعالى التي خصصت ما خصصت منها بلونه و وصفه و قدرة الله تعالى حيث أوجدها كذلك و حكمته و رحمته حيث كان ذلك الاختلاف
فَالنَّاسُ مِنْهُمْ بَرَبْرٌ وَ حُبُوشٌ وَ طُمَاطِمٌ فِي غَايَةِ السَّوَادِ وَ صَقَالِبَةٌ وَ رُومٌ فِي غَايَةِ الْبَيَاضِ وَ الْعَرَبُ بَيْنَ ذَلِكَ وَ الْهُنُودُ دُونَ ذَلِكَ وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ} [الرُّوم: 22]

(وَالذَّوَابِ) وَ هُوَ: كُلُّ مَا دَبَّ عَلَى قَوَائِمٍ - (وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ) مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِ.
كَذَلِكَ هِيَ مُخْتَلِفَةٌ أَيْضًا- وَ كَذَلِكَ الذَّوَابُ وَ الْأَنْعَامُ مُخْتَلِفَةٌ الْأَلْوَانِ حَتَّى فِي الْجِنْسِ الْوَاحِدِ
بَلِ النَّوعِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ مُخْتَلِفٌ الْأَلْوَانِ بَلِ الْحَيَوَانِ الْوَاحِدِ يَكُونُ أَبْلَقَ فِيهِ مِنْ هَذَا اللَّوْنِ وَ هَذَا اللَّوْنِ
فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.

و ذلك التفاوت فيه من المصالح و المنافع و معرفة الطرق و معرفة الناس بعضهم بعضا ما هو معلوم.
○ و ذلك أيضا دليل على:-

سعة علم الله تعالى و أنه يبعث من في القبور
و لكن الغافل ينظر في هذه الأشياء و غيرها نظر غفلة لا تحدث له التذكر و إنما ينتفع بها من يخشى الله تعالى و يعلم بفكره الصائب وجه الحكمة فيها

و لهذا قال: (كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (١)

فكل من كان بالله أعلم كان أكثر له خشية و أوجب له خشية الله الانكفاف عن المعاصى
و الاستعداد للقاء من يخشاه

و هذا دليل على :- فضيلة العلم فإنه داع إلى خشية الله و أهل خشيته هم أهل كرامته

كقوله (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ)

(إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) كامل العزة و من عزته خلق هذه المخلوقات المتضادات (غَفُورٌ) (لذنوب التائبين 28

(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ) يتبعونه:- في أوامره:- فيمتثلونها في نواهيه:- فيتركونها في أخباره:-

فضل قارئ القرآن 29-35

فيصدقونها و يعتقدونها و لا يقدمون عليه ما خالفه من الأقوال و يتلون أيضا

ألفاظه:- بدراسته و معانيه:- بتتبعه و استخراجها

(وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) ثم خص من التلاوة بعد ما عم، الصلاة التي هي:-

1- عماد الدين 2- و نور المسلمين 3- و ميزان الإيمان 4- و علامة صدق الإسلام

(وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاهُمْ) و النفقة على الأقارب و المساكين و اليتامى و غيرهم من الزكاة و الكفارات

و النذور و الصدقات (سِرًّا وَعَلَانِيَةً) في جميع الأوقات (يَرْجُونَ) بذلك

(فَجَحَرَةٌ لَنْ تَكْبُورَ) لن تكسد و تفسد بل تجارة هي أجل التجارات و أعلاها و أفضلها ألا و هي:-

رضا ربهم و الفوز بجزيل ثوابه و النجاة من سخطه و عقابه

و هذا فيه أنهم يخلصون بأعمالهم و أنهم لا يرجون بها من المقاصد السيئة و النيات الفاسدة شيئا 29

و ذكر أنهم حصل لهم ما رجوه فقال:-

(لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ) أجور أعمالهم على حسب قلتها و كثرتها

و حسنها و عدمه- ليوفيههم الله تعالى ثواب أعمالهم كاملا غير منقوص

(وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ) زيادة عن أجورهم- و يضاعف لهم الحسنات من فضله

(إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) غفر لهم السيئات و قبل منهم القليل من الحسنات 30

....

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾
 ثُمَّ أَوْثَرْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا لِنُعَذِّبَهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ
 وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
 يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا لِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ
 إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ
 وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا
 وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا
 رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ
 وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

(وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ) يذكر تعالى أن الكتاب الذي أوحاه إلى رسوله

(هُوَ الْحَقُّ) من كثرة ما اشتمل عليه من الحق، كأن الحق منحصر فيه فلا يكن في قلوبكم حرج منه

و لا تتبرموا منه، و لا تستهينوا به

فإذا كان هو الحق:- لزم أن كل ما دل عليه من المسائل الإلهية و الغيبية و غيرها مطابق لما في الواقع فلا يجوز أن يراد به ما يخالف ظاهره و ما دل عليه.

(مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) من الكتب و الرسل لأنها أخبرت به - فلما وجد و ظهر ظهر به صدقها.

فهي بشرت به و أخبرت و هو صدقها- و لهذا لا يمكن أحدا أن يؤمن بالكتب السابقة و هو كافر بالقرآن أبدا لأن كفره به ينقض إيمانه بها لأن من جملة أخبارها الخبر عن القرآن و لأن أخبارها مطابقة لأخبار القرآن.

(إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) فيعطي كل أمة و كل شخص ما هو اللائق بحاله و من ذلك أن الشرائع السابقة

لا تليق إلا بوقتها و زمانها- و لهذا ما زال الله يرسل الرسل رسولا بعد رسول حتى ختمهم بمحمد ﷺ

فجاء بهذا الشرع الذي يصلح لمصالح الخلق إلى يوم القيامة و يتكفل بما هو الخير في كل وقت.

○ و لهذا لما كانت هذه الأمة أكمل الأمم عقولا و أحسنهم أفكارا و أرقهم قلوبا و أزكاهم أنفسهم اصطفاهم الله

تعالى و اصطفى لهم دين الإسلام و أورثهم الكتاب المهيم على سائر الكتب 31

و لهذا قال: (**ثُمَّ أَوْرَثْنَا**) ثم أعطينا - بعد هلاك الأمم- (**الْكِتَابَ**) القرآن

(**الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**) مَنْ اخْتَرْنَاهُمْ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ و هم هذه الأمة.

(**فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ**) بالمعاصى التي هي دون الكفر- الْمُفْرَطُ فِي فِعْلِ بَعْضِ الْوَاجِبَاتِ الْمُتْرَكِبُ لِبَعْضِ الْمُحَرَّمَاتِ- الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الْمُصْطَفَيْنَ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ عَوَجٍ وَ تَقْصِيرٍ. (**وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ**)

مقتصر على ما يجب عليه تارك للمحرم- وَقَدْ يَتْرُكُ بَعْضُ الْمُسْتَحَبَّاتِ وَ يَفْعَلُ بَعْضَ الْمَكْرُوهَاتِ

(**وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ**) سارع فيها و اجتهد فسبق غيره و هو المؤدي للفرائض المكثرة من النوافل التارك للمحرم و المكروه- الْفَاعِلُ لِلْوَاجِبَاتِ وَ الْمُسْتَحَبَّاتِ التَّارِكُ لِلْمَحَرَّمَاتِ وَ الْمَكْرُوهَاتِ وَ بَعْضُ الْمُبَاحَاتِ.

| | الواجبات | المستحبات | المباحات | المحرمات | المكروهات |
|--------------|----------|-------------|-------------|-------------|-------------|
| سابق للخيرات | فاعل | مكثر | تارك لبعضها | تارك | تارك |
| مقتصد | فاعل | تارك لبعضها | | تارك | فاعل لبعضها |
| ظالم لنفسه | مفرط | مفرط | | فاعل لبعضها | فاعل لبعضها |

○ فكلهم اصطفاه الله تعالى لوراثه هذا الكتاب و إن تفاوتت مراتبهم و تميزت أحوالهم

فلكل منهم قسط من وراثته حتى الظالم لنفسه فإن ما معه من أصل الإيمان و علوم الإيمان و أعمال الإيمان من وراثه الكتاب لأن المراد بوراثه الكتاب وراثه علمه و عمله و دراسة ألفاظه و استخراج معانيه.

(**يَا ذِينَ اللَّهِ**) راجع إلى السابق إلى الخيرات لئلا يغتر بعمله بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله و معونته فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه.

(**ذَلِكَ**) أى: وراثه الكتاب الجليل لمن اصطفى تعالى من عباده

(**هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**)

الذي جميع النعم بالنسبة إليه كالعدم فأجل النعم على الإطلاق و أكبر الفضل وراثه هذا الكتاب **32**

ثم ذكر جزاء الذين أورثهم كتابه فقال: (**جَنَّاتُ**)

مشمولات على الأشجار و الظل و الظليل و الحقائق الحسنة و الأنهار المتدفقة و القصور العالية و المنازل المزخرفة في أبد لا يزول و عيش لا ينفد.

و ال- (**عَدْنٍ**) « **الإقامة** » أى: جنات إقامة أضافها للإقامة لأن الإقامة و الخلود وصفها و وصف أهلها.

(**يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ**)

و هو الحاي الذي يجعل في اليدين على ما يحبون و يرون أنه أحسن من غيره الرجال و النساء في الحلية في الجنة سواء.

(و) يحلون فيها (وَلَوْلَا) ينظم في ثيابهم و أجسادهم.

*مسلم (250) عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَ هُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ فَكَانَ يُمَدُّ يَدَهُ حَتَّى تَبْلُغَ إِبْطَهُ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا هَذَا الْوُضُوءُ؟ فَقَالَ: يَا بَنِي فَرُوحٍ أَنْتُمْ هَاهُنَا؟ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ هَاهُنَا مَا تَوَضَّأْتُ هَذَا الْوُضُوءَ سَمِعْتُ خَلِيلِي ﷺ يَقُولُ: «تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ، حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ»

(وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ)

من سندس و من إستبرق أخضر و لِهَذَا كَانَ مَحْظُورًا عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا فَأَبَاحَهُ اللَّهُ لَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ
*البخاري 5832- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ شُعْبَةُ: فَقُلْتُ: أَعَنِ النَّبِيُّ ﷺ؟ فَقَالَ شَدِيدًا: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ لَبَسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا فَلَنْ يَلْبَسَهُ فِي الْآخِرَةِ» 33

○ (و) لما تم نعيمهم و كملت لذتهم (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ)

و هذا يشمل كل حزن فلا حزن يعرض لهم بسبب نقص فى:-

1-جمالهم 2-و لا في طعامهم و شرابهم 3-و لا في لذاتهم و لا في أجسادهم 4-و لا في دوام لبثهم

فهم في نعيم ما يرون عليه مزيدا و هو في تزايد أبد الآباد.

*و هُوَ الْخَوْفُ مِنَ الْمَحْذُورِ أَزَاحَهُ عَنَّا وَ أَرَاخَنَا مِمَّا كُنَّا نَتَخَوَّفُهُ وَ نَحْذَرُهُ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

(إِنَّا رَبَّنَا غَفُورٌ) حيث غفر لنا الزلات

(شَكُورٌ) حيث قبل منا الحسنات و ضاعفها و أعطانا من فضله ما لم تبلغه أعمالنا و لا أمانينا

فبمغفرته نجوا من كل مكروه و مرهوب و بشكره و فضله حصل لهم كل مرغوب محبوب 34

(الَّذِي أَحَلَّنَا) أنزلنا نزول حلول و استقرار لا نزول معبر و اعتبار.

(دَارَ الْمُقَامَةِ) الدار التي تدوم فيها الإقامة و الدار التي يرغب في المقام فيها لكثرة خيراتها و توالى مسراتها

و زوال كدوراتها

و ذلك الإحلال (من فضله)

علينا لا بأعمالنا -لَمْ تَكُنْ أَعْمَالُنَا تُسَاوِي ذَلِكَ.

***صحيح البخاري

5673 عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا:-
وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:- "لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَ رَحْمَةٍ، فَسَدُّوا وَ قَارِبُوا وَ لَا يَتَمَنَّيْنِ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ: -إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزِدَادَ خَيْرًا وَ إِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ "

(لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ) لا تعب في الأبدان و لا في القلب و القوى و لا في كثرة التمتع

(وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) (اعياء

و هذا يدل على أن الله تعالى يجعل أبدانهم في نشأة كاملة و يهيئ لهم من أسباب الراحة على الدوام ما يكونون بهذه الصفة بحيث لا يمسهم نصب و لا لغوب و لا هم و لا حزن.

و يدل على أنهم لا ينامون في الجنة:-

1-لأن النوم فائدته زوال التعب و حصول الراحة به و أهل الجنة بخلاف ذلك،

2-و لأنه موت أصغر و أهل الجنة لا يموتون جعلنا الله منهم بمنه و كرمه.

○ والنصب و اللُّغُوبُ:- كُلٌّ مِنْهُمَا يُسْتَعْمَلُ فِي التَّعَبِ وَ كَأَنَّ الْمُرَادَ يَنْفِي هَذَا وَ هَذَا عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا تَعَبَ عَلَى أَبْدَانِهِمْ وَ لَا أَرْوَاحِهِمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَذُبُّونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْعِبَادَةِ فِي الدُّنْيَا فَسَقَطَ عَنْهُمْ التَّكْلِيفُ بِدُخُولِهَا وَ صَارُوا فِي رَاحَةٍ

دَائِمَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:- {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة: 24] 35

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة و نعيمهم ذكر حال أهل النار و عذابهم فقال:-

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا) جحدوا ما جاءتهم به رسالهم من الآيات و أنكروا لقاء ربهم.

حال الكفار في جهنم و مناقشتهم في عقائدهم 31-43

(لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ) يعذبون فيها أشد العذاب و أبلغ العقاب.

(لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ) بالموت (فَيَمُوتُوا) فيستريحوا -كقوله:- {لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا} [طه: 74]

(وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا) فشدة العذاب و عظمه مستمر عليهم في جميع الآتات و اللحظات.

(كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ) هَذَا جَزَاءُ كُلِّ مَنْ كَفَرَ بِرَبِّهِ وَ كَذَّبَ بِالْحَقِّ 36

(وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا) يصرخون و يتصايحون و يستغيثون و يقولون: -

(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) فاعترفوا بذنبهم و عرفوا أن الله عدل فيهم

و لكن سألوا الرجعة في غير وقتها -و قد علمَ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ أَنَّهُ لَوْ رَدَّاهُمْ إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. فَلِهَذَا لَا يُجِيبُهُمْ إِلَى سُؤَالِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِمْ:

{فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا} [غافر: 11 - 12]

أى:- لَا يُجِيبُكُمْ إِلَى ذَلِكَ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ كَذَلِكَ وَ لَوْ رُدِدْتُمْ لَعُدْتُمْ إِلَى مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ

فيقال لهم: (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ) أى: دهرنا و عمرا

(مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ) أى: يتمكن فيه من أراد التذكر من العمل متعناكم في الدنيا و أدرنا عليكم

الأرزاق و قيضنا لكم أسباب الراحة و مددنا لكم في العمر و تابعنا عليكم الآيات و أوصلنا إليكم النذر

و ابتليناكم بالسراء و الضراء لتنبوا إلينا و ترجعوا إلينا

*البخاري 6419 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَعَذَّرَ اللَّهُ إِلَى أَمْرِي آخَرَ أَجَلَهُ، حَتَّى بَلَغَهُ سِتِّينَ سَنَةً»
 *الترمذي 3550 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ»

*البخاري 4466 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوِّفِيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَ سِتِّينَ»

(وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ) الرسول ﷺ

(فَذُوقُوا) عذاب النار جزاء على مخالفتكم للأنبياء في مدة أعماركم

(فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) ينصرهم فيخرجهم منها أو يخفف عنهم من عذابه **37**

لما ذكر تعالى جزاء أهل الدارين و ذكر أعمال الفريقين: **(إِنَّ اللَّهَ عَكِيمٌ)**

أخبر تعالى عن سعة علمه تعالى و اطلاعه على **(غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)**

التي غابت عن أبصار الخلق و عن علمهم

(إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)

عالم بالسرائر و ما تنطوي عليه الصدور من الخير و الشر و الزكاء و غيره فيعطى كلا ما يستحقه و ينزل كل

أحد منزلته **38**

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى يَنَبْتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَحْدِلْ سُنَّتَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَحْدِلْ سُنَّتَ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

(هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ) يخبر تعالى عن كمال حكمته و رحمته بعباده أنه قدر بقضائه السابق أن: -
يجعل بعضهم يخلف بعضا في الأرض و يرسل لكل أمة من الأمم النذر فينظر كيف يعملون
(مَنْ كَفَرَ) بالله و بما جاءت به رسله (فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) فإن كفره عليه و عليه إثمه و عقوبته و لا يحمل عنه أحد
(وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا)

و لا يزداد الكافر بكفره إلا مقت ربه له و بغضه إياه و أى عقوبة أعظم من مقت الرب الكريم؟!
*كُلَّمَا اسْتَمَرُّوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ أَبْغَضُهُمُ اللَّهُ وَ كَلَّمَا اسْتَمَرُّوا فِيهِ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ كُلَّمَا طَالَ عُمُرُ أَحَدِهِمْ وَ حَسُنَ عَمَلُهُ:-
ارْتَفَعَتْ دَرَجَتُهُ وَ مَنْزِلَتُهُ فِي الْجَنَّةِ وَ زَادَ أَجْرُهُ وَ أَحَبَّهُ خَالِقُهُ وَ بَارَكْتُهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَسُبْحَانَ الْمُقَدَّرِ الْمُدَبِّرِ
(وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا) هلاكاً في الآخرة

○ أي: يخسررون:- 1-أنفسهم 2-و أهليهم 3-و أعمالهم 4-و منازلهم في الجنة،

فالكافر لا يزال في زيادة من الشقاء و الخسران و الخزي عند الله و عند خلقه و الحرمان.

يقول تعالى مُعْجِزًا لِآلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ وَ مَبِينًا نَقَصَهَا وَ بَطْلَانِ شُرَكَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ 39

(قُلْ) يا أيها الرسول لهم: (أَرَأَيْتُمْ) أي: أخبروني عن (شُرَكَاءَكُمُ) من الأصنام و الأنداد

(الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) هل هم مستحقون للدعاء و العبادة

فــــ (مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) هل خلقوا بحرا أم خلقوا جبالا أو خلقوا حيوانا أو خلقوا جمادا؟

سيقرون أن الخالق لجميع الأشياء هو الله تعالى (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ) أم لشركائكم شِرْكَةٌ

(فِي السَّمَوَاتِ) في خلقها و تدبيرها؟ لَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مَا يَدْعُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ.

○ سيقولون: ليس لهم شركة فإذا لم يخلقوا شيئا و لم يشاركوا الخالق في خلقه فلم عبدتموهم و دعوتموهم مع إقراركم بعجزهم؟

فانتفى الدليل العقلي على صحة عبادتهم، و دل على بطلانها.

ثم ذكر الدليل السمعي و أنه أيضا منتف فلهذا قال:

(أَمْ عَائِدَتُهُمْ كِتَابًا) يتكلم بما كانوا به يشركون يأمرهم بالشرك و عبادة الأوثان.

(فَهُمْ) ففى شركهم (عَلَى يَدَيْهِ مَنْهٌ) من ذلك الكتاب الذي نزل عليهم في صحة الشرك؟

ليس الأمر كذلك؟ فإنهم ما نزل عليهم كتاب قبل القرآن و لا جاءهم نذير قبل رسول الله محمد ﷺ، و لو قدر نزول كتاب إليهم، و إرسال رسول إليهم و زعموا أنه أمرهم بشركهم فإننا نجزم بكذبهم لأن الله قال:-

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)

فالرسل و الكتب كلها متفقة على الأمر بإخلاص الدين لله (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ)

فإن قيل: إذا كان الدليل العقلي، و النقلي قد دلا على بطلان الشرك

فما الذي حمل المشركين على الشرك و فيهم ذوو العقول و الذكاء و الفطنة؟

أجاب تعالى بقوله:- (بَلْ لِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا) باطل و زور 40

(إِنَّ اللَّهَ) يخبر تعالى عن كمال قدرته و تمام رحمته و سعة حلمه و مغفرته

و أنه (يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) عن الزوال

(أَنْ تَزُولَا) أَنْ تَضْطَرِبَا عَنْ أَمَاكِنِهِمَا كَمَا قَالَ: {وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [الْحَجَّ: 65]

(وَلَيْنَ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) لَا يَقْدِرُ عَلَى دَوَامِهِمَا وَ إِبْقَائِهِمَا إِلَّا هُوَ [لعجزه عن ذلك]

(إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) يَرَى عِبَادَهُ وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِهِ وَ يَعْصُونَهُ وَ هُوَ يَحْلُمُ فَيُؤَخِّرُ وَ يَنْظُرُ وَ يُؤَجِّلُ وَ لَا يَعْجَلُ،

وَ يَسْتُرُ آخِرِينَ وَ يَغْفِرُ 41

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) أي و أقسم هؤلاء الذين كذبوك يا رسول الله قسما اجتهدوا فيه بالأيمان الغليظة.

(لَيْتَ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ) ^ط

أى: أهدى من اليهود و النصارى أهل الكتب فلم يفوا بتلك الإقسامات و العهود.

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) وَ هُوَ: مُحَمَّدٌ ﷺ-يَمَا أُنْزِلَ مَعَهُ مِنَ الْكِتَابِ الْعَظِيمِ وَ هُوَ الْقُرْآنُ الْمُبِينُ

○ لم يهتدوا و لم يصيروا أهدى من إحدى الأمم بل لم يدوموا على ضلالهم الذي كان،

بل (مَا زَادَهُمْ) ذلك (إِلَّا تَفُورًا)

و زيادة ضلال و بغي و عناد-و ليس إقسامهم المذكور لقصد حسن و طلب للحق و إلا لُوَفُّوا له 42

و لكنه صادر عن (أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ) على الخلق و على الحق و بهرجة (باطل) في كلامهم هذا

(وَمَكْرَ السَّيِّئِ) أي الشرك و المعاصي-يريدون به المكر و الخداع و أنهم أهل الحق الحريصون على طلبه فيغتر

به المغترون، و يمشي خلفهم المقتدون.

(وَلَا يَحِيقُ) يحيط (الْمَكْرُ السَّيِّئُ) لذي مقصوده مقصود سيئ و مآله و ما يرمي إليه سيئ باطل

(إِلَّا بِأَهْلِيهِ) فمكرهم إنما يعود عليهم و قد أبان الله لعباده في هذه المقالات و تلك الإقسامات

أنهم كذبة في ذلك مزورون فاستبان خزيهم و ظهرت فضيحتهم و تبين قصدهم السيئ فعاد مكرهم في نحورهم

و رد الله كيدهم في صدورهم.

(فَهَلْ يَنْظُرُونَ) فلم يبق لهم (إِلَّا) انتظار ما يحل بهم من العذاب الذي هو (سُنَّتٌ) الله فـ

(الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) أي فلا يبدل العذاب بغيره-التي لا تبدل و لا تغير أن :-

كل من سار في الظلم و العناد و الاستكبار على العباد أن يحل به نقمته و تسلب عنه نعمته

(وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) أي تحويل العذاب عن مستحقه إلى غير مستحقه.

{وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ} [الرَّعْدِ: 11] وَ لَا يَكْشِفُ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَ يُحَوِّلُهُ عَنْهُمْ أَحَدٌ 43

(أَوَّلَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)

يحض تعالى على السير في الأرض فـ القلوب و الأبدان للاعتبار لا لمجرد النظر و الغفلة

و أن ينظروا إلى عاقبة الذين من قبلهم ممن كذبوا الرسل

(وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) و كانوا أكثر منهم أموالا و أولادا و أشد قوة و عمروا الأرض أكثر مما عمرها هؤلاء،

(وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ) لكمال علمه و قدرته

اهلاك الكفار بعد امهالهم 44-45

(إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا) عَلِيمٌ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ قَدِيرٌ عَلَى مَجْمُوعِهَا 44

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ
وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

36-سورة يس يس الله الرحمن الرحيم

يَسَّ ١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣) عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥)
لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرُوا آبَاءَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧)
إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠)
إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ بَشِيرُهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١١)
إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ١٢)

ثم ذكر تعالى كمال حلمه و شدة إمهاله و إنظاره أرباب الجرائم و الذنوب فقال:-

(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا) من الذنوب

(مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ) لاستوعبت العقوبة حتى الحيوانات غير المكلفة.

(وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ) يمهلهم تعالى و لا يمهلهم (إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا) فيجازيهم بحسب ما علمه منهم من خير و شر 45

تفسير سورة يس - و هي مكية

(يَسَّ) بِمَعْنَى: يَا إِنْسَانُ 1) (وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) هذا قسم من الله تعالى بالقرآن الحكيم الذي وصفه الحكمة:-

1- و هي وضع كل شيء موضعه 2- وضع الأمر و النهي في الموضع اللائق بهما

3- وضع الجزاء بالخير و الشر في محللهما اللائق بهما فأحكامه الشرعية و الجزائية كلها مشتملة على غاية

الحكمة. 4- و من حكمة هذا القرآن أنه يجمع بين ذكر الحكم و حكمته

فينبه العقول على المناسبات و الأوصاف المقتضية لترتيب الحكم عليها 2

(إِنَّكَ) يا محمد (لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) هذا المقسم عليه و هو رسالة محمد ﷺ و إنك من جملة المرسلين 3

(عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) معتدل موصل إلى الله و إلى دار كرامتهو ذلك الصراط المستقيم مشتمل على :-

القرآن منذر للمشركون
مبشر للمؤمنين 12-1

1الأعمال الصالحة:-المصلحة للقلب و البدن و الدنيا والآخرة

2-و الأخلاق الفاضلة المزكية للنفس المطهرة للقلب المنمية للأجر 4

(تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) فهو الذي أنزل به كتابه و أنزله طريقا لعباده موصلا لهم إليه 5

(الْعَزِيزِ) فحماته بعزته عن التغيير و التبديل (الرَّحِيمِ) بعباده رحمة اتصلت بهمحتى أوصلتهم إلى دار رحمته 6

○ فلما أقسم تعالى على رسالته و أقام الأدلة عليهاذكر شدة الحاجة إليها و اقتضاء الضرورة لها

فقال:- (لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ) و هم العرب الأميون الذين:-

1-لم يزلوا خالين من الكتب عادمين الرسل 2-قد غمتهم الجهالة و غمرتهم الضلالة

3-و أضحكوا عليهم و على سفههم عقول العالمين 7

(لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ) لَقَدْ وَجَبَ الْعَذَابُ (عَلَى أَكْثَرِهِمْ) بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ حَتَمَ عَلَيْهِمْ فِي أُمِّ الْكِتَابِ

(فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ 8

و ذكر الموانع من وصول الإيمان لقلوبهم فقال:- (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ)

و هي جمع « غل » و « الغل » ما يُغْل به العنق:- فهو للعنق بمنزلة القيد للرجل

و هذه الأغلال التي في الأعناق عظيمة قد وصلت إلى أذقانهم و رفعت رؤوسهم إلى فوق

(فَهُمْ مُقْمَحُونَ) رافعو رؤوسهم من شدة الغل الذي في أعناقهم فلا يستطيعون أن يخفضوها

المُقْمَحُ:-هُوَ الرَّافِعُ رَأْسَهُ

إنا جعلنا هؤلاء الكفار الذين عُرض عليهم الحق فردّوه و أصرّوا على الكفر وعدم الإيمان

كَمُن:-جُعِل في أعناقهم أغلالفجمعت أيديهم مع أعناقهم تحت أذقانهم

فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء فهم مغلولون عن كل خير لا يبصرون الحق و لا يهتدون إليه 8

(وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) حاجزا يحجزهم عن الإيمان [و ع — ن الح — ق]

(فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) قد غمرهم الجهل و الشقاء من جميع جوانبهم فلم تفد فيهم النذارة 9

(وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)

و كيف يؤمن من طبع على قلبهو رأى الحق باطلا و الباطل حقا ؟! 10

و القسم الثاني:-

الذين قَبِلُوا النذارة و قد ذكرهم بقوله:- (إِنَّمَا تُنْذِرُ) إنما تنفع نذارتك و يتعظ بنصحك

(مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) وَهُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ أَى: من قصده اتباع الحق و ما ذكر به

(وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ) من اتصف بهـ الذين الأمرين -

1- القصـد الحسن في طلب الحق 2- و خشية الله تعالى

○ فهم الذين ينتفعون برسالتك و يزكون بتعليمك و هذا الذي وفق لهذين الأمرين

(فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ) لذنوبه (وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) لأعماله الصالحة و نيته الحسنة 11

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى) نبعثهم بعد موتهم لنجازيهم على الأعمال (يَوْمَ الْقِيَامَةِ)
و فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحْيِي قَلْبَ مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ قَدْ مَاتَتْ قُلُوبُهُمْ بِالضَّلَالَةِ
فَيَهْدِيهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْحَقِّ

(وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) من الخير و الشر و هو أعمالهم التي عملوها و باسروها في حال حياتهم (وَأَنذَرَهُمْ)
الاول:- نَكْتُبُ آثَارَهُمُ الَّتِي أَتَرَوْهَا مِنْ بَعْدِهِمْ فَنَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ
الثاني:- أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ آثَارُ خُطَاهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ أَوْ الْمَعْصِيَةِ.

*البزار عن أبي سعيد رضي الله عنه قال إن بني سلمة شكوا إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم من المسجد
فنزلت: {وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ}

(وَكُلَّ شَيْءٍ) من الأعمال و النيات و غيرها (أَحْصَيْنَاهُ) مَسْطُورٍ مَضْبُوطٍ (فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)

كتاب هو أم الكتب و إليه مرجع الكتب التي تكون بأيدي الملائكة و هو اللوح المحفوظ 3

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا
فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَهِّرْ كُم مِّنْكُمْ
أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى
قَالَ يَبْنَؤُمْ أَتَبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَبِعُوا مِنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ
لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنْئِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾
إِنْئِذَا مَنِاتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾
بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

(وَأَضْرِبْ) (لَهُمْ) لهؤلاء المكذبين برسالتك الرادين لدعوتك (مَثَلًا) يعتبرون به و يكون لهم موعظة إن وفقوا

للخبرو ذلك المثل:- (أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ) أنطاكية عاصمة بلاد يقال لها العواصم بأرض الروم.

قصة أصحاب القرية (أنطاكية) 32-13

(إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ) من الله تعالى يأمرهم بـ:-

1- عبادة الله وحده 2- وإخ- لاص الدين له 3- و يهونهم عن الشرك و المعاصي 13

(إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا) (بَادَرُوهُمَا بِالْكَذِبِ) (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) قويناهما بثالث فصاروا ثلاثة رسل

اعتناء من الله بهم و إقامة للحجة بتوالي الرسل إليهم

(فَقَالُوا) (لَهُمْ): (إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ) مِنْ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ نَأْمُرُكُمْ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ 14

○ فأجابوهم بالجواب الذي ما زال مشهورا عند من رد دعوة الرسل: -

ف- (قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا) فكيف أوحى إليكم و أنتم بشر و نحن بشر فلم لا أوحى إلينا مثلكم؟

و لو كنتم رُسلاً لَكنْتُمْ مَلَائِكَةً. أي: فما الذي فضلكم علينا و خصكم من دوننا؟

(وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ) أنكروا عموم الرسالة ثم أنكروا أيضا المخاطبين لهم

فقالوا: (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ) 15 فقالت هؤلاء الرسل الثلاثة:- (قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) 16

فلو كنا كاذبين لأظهر الله خزينا و لبادرنا بالعقوبة

(وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) الذي يحصل به توضيح الأمور المطلوب بيانها

وما عدا هذا من آيات الاقتراحو من سرعة العذاب فليس إلينا—و إنما وظيفتنا — التي هي البلاغ المبين 17

ف—(قَالُوا) أصحاب القرية لرسلمهم:—(إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ^ط) لم نر على قدومكم علينا واتصالكم بنا إلا الشر

(لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ) نقتلنكم رجما بالحجارة أشنع القتلات (وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) 18

فقلت لهم رسلمهم: (طَطِيرُكُمْ مَعَكُمْ) مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ (قَالُوا أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ^ط) بسبب أنا ذكرناكم ما فيه صلاحكم

وحظكم قلتم لنا ما قلتم و تشاءتم و توعدهمونا بالرجم والتعذيب؟

(بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) متجاوزون للحد متجرهمون في قولكم فلم يزدكم دعائهم إلا نفورا واستكبارا 19

(وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) حرصا على نصح قومه حين سمع ما دعت إليه الرسل وآمن به

وعلم ما رد به قومه عليهم ف—(قَالَ) لهم:—(يَتَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ)

فأمرهم باتباعهم و نصحهم على ذلك و شهد لهم بالرسالة ثم ذكر تأييدا لما شهد به و دعا إليه 20

فقال: (اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا) اتبعوا من نصحكم نصحا يعود إليكم بالخير

فدفع هذا الاحتراز بقوله:—(وَهُمْ مُّهْتَدُونَ) لأنهم لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه

ولا ينهون إلا بما يشهد العقل الصحيح بقبحه فكأن قومه لم يقبلوا نصحه

بل عادوا لاثمين له على اتباع الرسل وإخلاص الدين لله وحده 21

فقال:—(وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) أي: وما المانع لي من عبادة من هو المستحق للعبادة

لأنه الذي فطرني و خلقني و رزقني (وَالَّذِي تُرْجَعُونَ) وإليه مآل جميع الخلق فيجازيهم بأعمالهم 22

(ءَأَتِخَذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً) استفهام إنكارٍ وَ تَوْبِيخٍ وَ تَقْرِيعٍ

(إِنْ يُرِِدِنِ الرَّحْمَنُ بَصُرًا لَا تَغْنَى عَنْ شَفَعَتِهِمْ) التي زعمتموها

(شَيْئًا) لأنه لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه فلا تغني شفاعتهم عني شيئا

(وَلَا يُنْقِذُونَ) من الضر الذي أراده الله به 23

(إِنِّي) إن عبدت آلهة هذا وصفها — (إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ) 24

(إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ) الذي كَفَرْتُمْ بِهِ أَي: الَّذِي أَرْسَلَكُمْ [أى الرسل]

(فَاسْمَعُونَ)

فَاسْمَعُوا قَوْلِي (يا أهل المدينة) -

وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خِطَابُهُ لِلرُّسُلِ بِقَوْلِهِ: أَيُّ: فَاشْهَدُوا لِي بِذَلِكَ عِنْدَهُ.

*جَعَلُوا يَرْجُمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ وَ هُوَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ".

فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَقْعَصُوهُ وَ هُوَ يَقُولُ كَذَلِكَ فَقَتَلُوهُ رَحِمَهُ اللَّهُ 25

ف—(قِيلَ) له في الحال :-

(أَدْخِلِ الْجَنَّةَ قَائِلًا) (منخبرا بما وصل إليه من الكرامة على توحيده و إخلاصه وناصحا لقومه بعد وفاته

كما نصح لهم في حياته: (يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي)

بأي شيء غفر لي فأزال عني أنواع العقوبات

(وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) (بأنواع المثوبات والمسرات أي: لو وصل علم ذلك إلى قلوبهم لم يقيموا على شركهم.

***قَالَ قَتَادَةُ:- لَا تَلْقَى الْمُؤْمِنَ إِلَّا نَاصِحًا لَا تَلْقَاهُ غَاشًّا؛ لَمَّا عَايَنَ مَا عَايَنَ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ

***تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ أَنْ يَعْلَمَ قَوْمُهُ مَا عَايَنَ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لَهُ وَمَا هَجَمَ عَلَيْهِ 27